صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

العدد الثالث
آب (اغسطس) ١٩٥٩
السنة الثانية



رائعة فرحات في يوم تكريمه في « كفر شيما » لبنان

سلست اي الاقدار بعد حران — وأعاضني مما فقدت زماني
هذي ملاعب صبوتي أرتادها — متنصتاً فيها لهمس جناني
في كل منعطف حديث حداثة — متسلسل منه معين معان
أشباح ماضي البعيد قريبة — مني تقابلني بكل مكان
وتضج في الذكريات مزيلة — ما كان في الهجران من نسيان
لبنان يا نفس الخزام ضحى ويا — قبل الندى النرجس الظمآن
عاد ابنك النائي اليك وقلبه — يروي حديث الشوق بالخفقان
عيناه تائهتان باحثتان في — دنياك عن رفقائه الفتيان
يمشي هنا وهناك وهو محدق — للناس والاشياء كالحيران
متلفت متسائل عن صحبه — وبصحبه لعبت يد الحدثان
أين الصبايا الحالمات - ولم يكن — وضح الغرام لهن - بالصبيان
أين الذين تركتهم عند النوى — في السفح بين الكرم والبستان
أين الرفاق المشرقات وجوههم — لسلامة الارواح والابدان
ذهبت بهم هذا الى لا رجعة — ترجى وذاك لرجعة بهوان
عاش المهاجر في المهاجر شاكياً — بل حاسداً من مات في لبنان
باع الشقي شبابه بنقودها — بيع المغامر حنطة بزوان
لو عاد بالدنيا العريضة بعدما — فقد الفتوة عاد بالحرمان
ان الفتوة في الحياة حديقة — مخضلة في مهمه حران
ان الشيوخ المبعدين عن الهوى — والموميات لدى الهوى سيان

ان لم تجد فيك الحسان بقية   من روعة لم يجدك الثقلان
فانظر لقدرك عندهن فانت من   نظراتهن اليك في ميزان
وتلق مبرم حكمهن بحكمة   وتقبل التنفيذ باطمئنان !

* * *

لبنان يا وطن الجمال تحية   تغشى ربوعك مع شذى نيسان
يا مهد أحلام الشباب ومصدر الـ   الحب البريء وهيكل الايمان
اني أراك فتى أشد فتوة   من عهدك الماضي ، فكيف تراني ؟
سلبتني الايام برد فتوتي   وحبكته ، اني بذلك هاني
والدهر أعطاني السلام فليتني   أستطيع أن أعطيك ما أعطاني
وطني أريدك مطمئناً آمناً   متمتعاً بمحبة الاخوان
لا جاحداً فضل الاخوة شاحذاً   للمعتدين صوارم العدوان
ما هذه الاصوات أسمعها هنا   وهناك وهي الوقر في الآذان
من كان يحسب أن في لبنان من   يتقبل الصفعات بالشكران ؟!
أو ليس خلق المسخ أفظع صفعة   للحق مال لوقعها الهرمان ؟
أنمد بالازهار أيدينا الى   شنآن مد يديه بالثعبان ؟
ألقاه في أحضاننا وأمده   بالسم والنابين والروغان
ان الألى قتل اليهود وشردوا   بسلاح فتاك وسعي جبان
ان لم يكونوا أهلنا أفما هموا   جيراننا ؟ أنسيء بالجيران ؟
ان لم نكن عربا يميل بنا الهوى   معهم السنا من بني الانسان
ان لم يكن لبنان في الشام التي   غدروا بها أيكون في اليابان ؟ !
فرسان يعرب في السباق أيكتفي   لبنان بالتصفيق للفرسان ؟
أفلا نشاركهم بنظم قصيدة   حملت شعار المجد في العنوان
أبيات ملحمة العروبة صورة   للشعب لا لحماقة التيجان
أنتيجة الاشعاع يا وطني عمى   يقضي على الاشكال والالوان
وعلى العقول ، فلا تميز محسناً   نصر العروبة من مسيء جان ؟
ليس السكوت فضيلة ، أفضيلة   واللص والشرطي يصطرعان ؟
من شد أزر اللص كان شريكه   فأميركا وربيبها صنوان
غنى ابن غريون ورجع صوته   مترنحاً أعزوفة ترومان
وتراقصا فذكرت عهد طفولتي   متفرجاً بالدب والسعدان !
رقصا لنكبة يعرب بهما وما   حسبا حساب تبدل الازمان
لا يخدعن الاقوياء نفوسهم   تذري الجبال بنفخة البركان
والدهر يملأ قدره ويصبها   كالساحر المحتال في فنجان
يقوى على أقوى السلاح رجاؤنا   واباؤنا يطغى على الطغيان
سيكون حظ السالبين حقوقنا   منا - كحظ الفرس والرومان
في القادسية من صوارمنا دم   يجري الى اليرموك أحمر قاني
في الموقفين تمددت راياتنا   منصورة فتقلص الشعبان

* * *

والانكليز ؟ أعيذ كل مسالم   من شر طائفة من الغيلان
زرعوا الشرور فكل شر نابت   يتعهدون أصوله بحنان

فاذا نمت أغصانه وتفرعت ... نسبوا جريمتهم الى الشيطان
شموا تراب عمان فاكتشفوا به ... سر الغنى فتشبثوا بعمان
وتذكر الوردات ان جدودهم ... بالامس ما كانوا سوى قرصان
فرموا بيوت الآمنين بنارهم ... متذرعين بخدمة السلطان
هذي طبيعتهم ، فكيف نلومهم ؟ ... ما للذئاب طبائع الحملان !

* * *

أما فرنسة ! ما ذكرت فرنسة ... الا ذكرت البطش في الميعان
لطف النعاج اذا احتزرت من الاذى ... فاذا غفلت فوثبة الذؤبان !
في الشام من تفظيعها أثر وفي ... أفريقيا من غدرها أثران
واليوم تحتضن اليهود نكاية ... ومصيرها معهم الى النيران
فلقد حفرنا في الجزائر قبرها ... مبقين اسرائيل للحيتان !

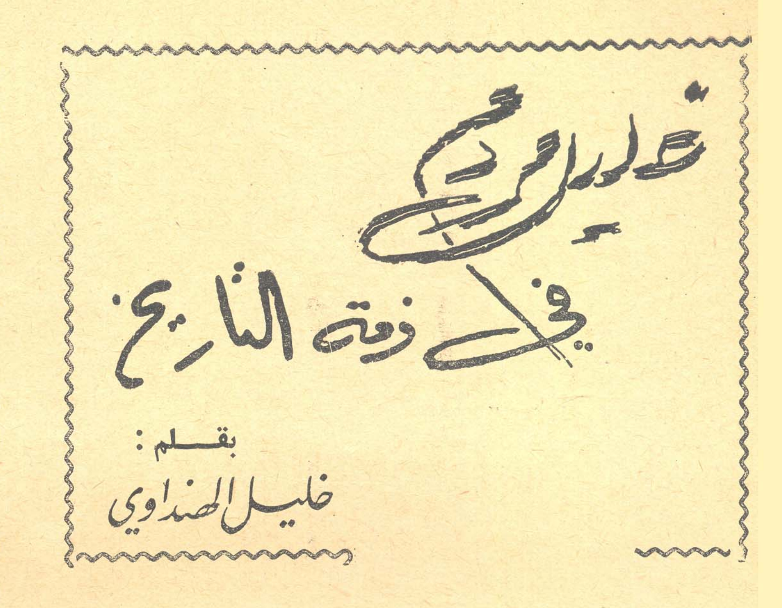
* * *

أرأيت يا وطني حماة حقوقنا ... ثالوث شر دائم الفوران
أرأيت من حلفاؤنا ، أفلا ترى ... أنا بهم في الوحل للاذقان
غمرت شرورهم القرى والبيد من ... دنيا العروبة فهي كالطوفان
لم ينج قطر من لهيب سياطهم ... الا الذي قد لان للارسان
لما استقلت مصر صاح كبيرهم : ... لن تستقل ونحن في الميدان
أيفيض نيل الآبقين ونحن لم ... نصدر اليه الامر بالفيضان ؟!
وتكتلوا وتآمروا وتنمروا ... وهووا كمطرقة على سندان
وقعوا على ما لم يكن في بالهم ... ورأوا قوى ما كن في الحسبان
صرخات يعرب خلفهم وأمامهم ... ومكان سيل النفط غيم دخان
فارتد أسطول الغزاة وجيشهم ... عن بور سعيد مضعضع الاركان
عادوا بأمجاد الهزيمة خلفهم ... (جنبار) نائمة على المرجان
والثعلب الجبار عاد ورأسه ... والذيل تحت البطن يلتقيان
فتظاهرت أم الدولار بشجبهم ... ما أشبه الكذاب بالعريان !

* * *

وطني المفدى طال عهد فراقنا ... ليت اللقاء يطول كالهجران
أنا ما أتيتك واعظاً بل شاعراً ... متغزلا بجمالك الفتان
لكنني ـ وأنا الغيور ـ أثارني ... قول يثير كوامن الاشجان :
لبنان متهم بصدق ولائه ... متستر باللف والدوان
ولنحن نأبى أن نرى لك راشقاً ... الا بماء الورد والريحان
انا نريدك قبة في هيكل ... متشامخ متماسك البنيان
حتى يكون لنا ونحن أعزة ... وطن نتيه به على الاوطان

الياس فرحات



مرت على وفاة الخليل ايام وايام ... وقد اكتفت الصحف بذكر الوفاة ، واكتفى المشيعون بالاشراف على نقل نعشه الى العدوة الثانية ، دون ان يدفع الوفاء احدا الى التحدث عن منزلة الرجل من الادب ، حتى الاصدقاء الذين ادناهم وقربهم وضحى بالكثير من الحقيقة والضمير الادبي من اجلهم لم يدنوا من نعشه ، ولم يذكروا ما اعطاهم من نفسه على حساب نفسه .

سئل البحتري مرة : « مابال مراثيك خيرا من مدائحك؟ »

فأجاب جواب الصريح : « اننا نمدح للعطاء ، ونرثي للوفاء »

فما بال قوم لم يمدحوا للعطاء ، ولم يرثوا للوفاء !

القد امسى الخليل الآن في ذمة التاريخ الادبي ، وامست آثاره الادبية ملكنا ، وملك ايدينا ، نفصلها تفصيلا ، ونقدرها تقديرا .

بدأ الرجل حياته الادبية شاعرا رنانا ، اضفى على الكثير منه الاسلوب الخطابي ، وان لم يكن هو بالخطيب ، ثم بدأت تغلب عليه النزعة الدراسية التي جذبته يوم كان مدرسا بارعا للادب العربي ، ثم استبدت به حين غلب عليه وقار المجمع العلمي ، ثم انفردت به حين انفرد على كرسي الرئاسة في تلك الزاوية الهادئة التي تتنقل فيها ارواح الادباء اوراقا مخطوطة ، وكتبا مطبوعة . وبين هذا وذاك مراتب حكومية عالية تسنمها حينا ، وغادرها حينا .

اما الخليل كشاعر ... فقد بدأ شعره على طريقة عمود الشعر القديم . ولا ننكر عليه ما حمل نفسه وشعره عليه من تجديد ، ومسايرة للشعر الحديث . ومن ذلك نجواه لله ، ووصفه راقصة في بال . وابرز مظهر لهذا التجديد يوم كان عضوا في « الرابطة الادبية » التي تألفت في دمشق تقليدا للرابطة العلمية المعروفة في المهجر ، حين كان من اعضائها جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا ابو ماضي ونسيب عريضة الذين اضافوا الى التراث الادبي ثروة غنية ، سخية بالتجارب والعواطف والصور . لكن ثقافة الخليل الادبية القديمة المكينة في نفسه لم يستطع ان يفلت من حبالها ، ولذلك لم يكن من تفاهم بين الرابطتين ، ولا تقارب لاختلاف العوامل ، واختلاف مفهوم التجديد عندهما .

فأدب الرابطة القلمية يجعل العاطفة ، والفكرة ، والتجربة الحية وخلق الصورة الجديدة التعبيرية اساسا في كل ابداع ادبي ، بينا الرابطة الادبية في دمشق لا تزال تتكيء على الصور القديمة ، وتنحني على التعابير الموروثة ، والالوان الباهتة ، وان خلت من الحياة ، وتجردت من الطابع الشخصي ، ولذلك اذا محوت شعر الرابطة الادبية لم يشعر تراثنا الادبي بأن شيئا كبيرا زال من ثروته ، بينا اذا محوت شعر الرابطة القلمية شعرت بأن مملكة عجيبة مستقلة قد زالت من الوجود .

واغراض شعر الخليل متعددة ، منها هذا الشعر الوطني الخالص الذي قاله في حركات التحرر ضد الاستعمار . وآخر قصيدة له، من هذا اللون ، قصيدته الرنانة المعروفة التي هاجم بها معاهدة ١٩٣٦ يوم مد الاستعمار لسورية يدالصداقة ، وراح باليد الثانية يؤلب عليها الفئات الرجعية، والطوائف الاقلية ، ويقضي على الاستقلال المموه ، والحرية الزائفة ، لكن هذا النضال لم يكن متواصلا في شعره ، لان طبيعة الرجل ، من ناحية ، ليست بطبيعة المكافح العنيد ، التي نرى شدتها وقسوتها مثلا في شاعر كالقروي، ولان طبيعة الوظائف المقيدة التي كان يرتبط بها بين الحين والحين كانت تحمله على المهادنة ، وتفرض عليه السكوت . ومع ذلك ، لاندري كل ما ترك في مخطوطاته الشعرية من هذا الشعر الوطني .

وهو على الاجمال ، في هذا الشعر فرع شجرة واحدة تتمثل في خير الدين الزركلي وشفيق جبري في وحدة الاتجاه ، وتقارب الاسلوب ، والتهافت على صور متشابهة والوان متقاربة .

واما دراسات الخليل فقد كانت وقفا على دراسة الادب القديم . وغالبا ما كانت تتبع الطريقة القديمة التي تتمسك بالاصول القديمة ، دون ان يدخلها تحليل للعوامل

النفسية والفنية التي تعني بها المدرسة الغربية . فالشاعر هو مجموعة من دراسة حياته ، واغراض شعره كماقسمها الاقدمون . اما دراسة الشخصية ، والكشف عن اسرار الابداع الفني فتلك اشياء لا يتعرض لها الدارسون .

وهذا داء المحه في دراساتنا بصورة عامة ، لاني قرأت اكثر ما قرأت من هذه الدراسات ، قديمها وحديثها ، فاذا هي دراسة سطحية جامدة ، يغلب عليه « السرد » ويتجرد منها « النقد »

بينا زملاؤنا في مصر يحملون انفسهم على مشقة الدرس ، ويتلذذون بعناء الكشف ، ويذهبون وراء اكتشافات جديدة ، على ضوء احدث النظريات في النقد والتحليل .

لعل هذا يعود الى ضعف اكثر ادبائنا ، وقلة اطلاعهم على المذاهب النقدية الغربية التي تختلف بجوهرها وتقديرها للادب الحق عم اورثناه ، ووقفنا عنده ، من ذلك ما قرأته حديثا لسامي الكيالي عن « الحياة الادبية في حلب » وهو مجموعة محاضرات القاها صاحبها على طلاب معهد الدراسات العليا ، فكنت اقرأ تاريخا لأدبا ، واقع على سرد لا حياة فيه ، ولا شخصية ، مع ان مثل هذه الدراسة – وان طالت جداولها – يجب ان تتسم بالطابع الادبي ، والنزعة الفنية ، واين منها – مثلا – كتاب يشبهها في موضوعه ، قدمه الاستاذ العقاد عن « شعراء مصر وبيئاتهم » ، ففي كل فصل تحديد لشخصية الشاعر، وعرض فخم لشاعريته ومنزلته يغنيك عن الفصول الطوال وما ذلك الا لان العقاد يهجم على شيء اختص به ، واعد له عدته ، ثم فتح له نافذة مضيئة من ذوقه ، وعلمه ، وادبه . وقد حان لنا ان نفرق بين مصطنع للادب ، همه جمع المعلومات ، وسرد الوقائع كمؤرخ بسيط ، وبين اديب يعطيك من ادبه ، ويمنحك من نفسه ، ويفرض عليك ذوقه .

وكان اتجاه الخليل في الشطر الاخير من عمره منصرفا الى احياء الادب القديم ، والشعر الدمشقي المهمل الذي لم تنهض له مجامع الادب ، فأورثه ذلك تعصبا للقديم اخرجه عن تعيين الحقيقة ، وصرفه عن الاعتراف بأية حسنة لجديد ، وبذلك انقطع اتصاله بالحديث ، فلا الشعر المشقق وزنا يعجبه ، ولا النثر الذي يصف واقعية الحياة يرضيه ، كأنه اقتنع بقول القائل حين سئل عن المجددين : « ماكان من حسنة في شعرهم فهي مقبولة من الاوائل ، وما كان من سيئة فهي من عندهم ! »

وقد كانت بيني وبينه مشادة في هذه الناحية ، لاني تصديت اكثر من مرة لهذا القديم الذي يريد منا أن نعيش على ذكرياته ، وننكر نفوسنا ، ونتجاهل عواطفنا ، وهو في اعتقاده ، ان الجديد يستهدف قتل اللغة العربية ، وتقطيع اوصالها وتقاليدها ، حين يتساهل في استخدام اللغة . ولكن هذا الجديد ، بماذا يعبر عن نفسه ؟ بأية حروف ، وبأية الفاظ ، وبأية تعابير ؟

ان اللغة كائن لا بد ان يخضع لسنة التطور كما يخضع كل كائن . واللغة حين تساير الجديد ، وتتساهل في خلق تعابير لم ترد في القديم ، وتتجاوز حدود التقاليد الموروثة انما تتبع سنة لامحيد عنها ، لانها سنة الحياة والتطور . ولن تجد لهذه السنة تبديلا ولا تحويلا .

كما آلمه مني – رحمه الله – حملتي المتكررة على المجمع العلمي الذي وقف اهتمامه على نشر الآثار القديمة ، وفيها الغث والثمين ، والنافع وغير النافع ، دون ان يبدي أي اهتمام بالدراسات الجديدة ، والاعمال المبتدعة . مع ان برنامجه الذي أنشيء من اجله يتناول احياء الادب ، على أية صورة جاء من الصور .

واذكر ، في السنة الماضية ، في مثل هذه الايام ، على اثر تأليف اتحاد الادباء للاقليم الشمالي أن اللجنة الادارية بعد اختيارها ارادت ان تكرم الادب ، فاختارت شخصه ليكون رئيسا معنويا للاتحاد . وحين بايعه الاتحاد على هذا قلت له :

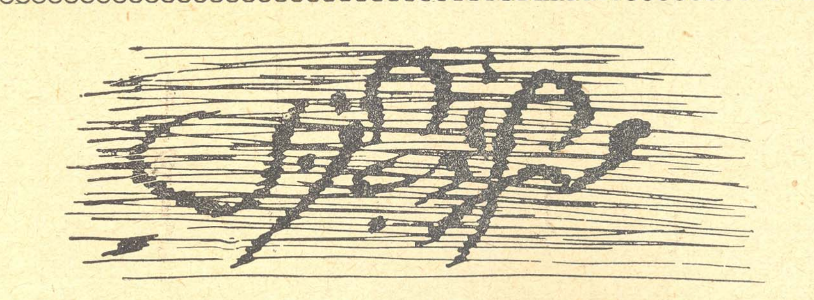
– ان الادب الجديد ، بشخص الاتحاد،يعترف برئاستك.

رأيته ، وراء منضدته ، في ذلك البهو المستطيل ، من المجمع العلمي ، وقد غلبت شعراته البيض على وجهه وعينيه ، رأيته وقد اغرورقت عيناه بدمعة ، هي دمعة الثقة والاعتراف بالجميل لهذا الادب الحديث الذي لم ينس تكريم الادب القديم ، وان كان القديم لم يظاهره الا بالعداوة والانكار . وما يدرينا ان الخصومة الشريفة الصريحة هي افضل بمرات من الصداقة المرائية في اعلاء الحقيقة .

لقد نشر الخليل آثارا كثيرة ، وتحقيقات شتى ، وتعليقات دقيقة نافذة تدل على مدى فضله ، واتصاله بالقديم . لكن الذي يخلد « الخليل » لا يزال مطويا في بطون المخطوطات ، والذلك بات على نجله الشاعر «عدنان» ان يتعجل في نشر ديوانه – وهو الذي احب من الاموات من كانوا غير جديرين بالحياة – ليقول تاريخ الادب والنقد كلمته الصريحة فيه .

هذه كلمة حق لم يمنع عنها اختلاف المذهب والطريقة، لان أية خصومة في الادب يجب الا تستهدف الا الحقيقة .

خليل الهنداوي



لمحات من شاعر الطبيعة المجسدة « ودزورث »

لا بد لاتساق الشعراء الابتداعيين (الرومانتيكيين) في عقد نظيم من ضم أؤلؤة ثمينة تضفي عليه البهاء وتزيده روعة وسناء . ولؤلؤة اليوم هو شاعر الطبيعة المجسدة الحية (وليام ودزورث) وهو نموذج فريد لنزعة التشخيص القوية في شعراء الانكليز يفترقون فيها كزملائهم الالمان كثيرا عن شعراء الفرنسية ، فالطبيعة في الشعر الفرنسي زينة خارجية جميلة واطار بديع موشى ومنتجع تفيء اليه الانسانية في أفراحها واتراحها لتنعم بمباهجه أو تتأسى بمشاهده ولكنها في الشعر الانكليزي امتداد للحياة الانسانية وجزء عضوي من كيانها تتجاوب فيها اشواق الافئدة وصبواتها وتختلج فيها مآسي القلوب وبدواتها وترتسم مناهج الاذهان ومخططات العقول . فالشلال في الشعر الفرنسي ، مثلا ، منحدر مائي جبار يصب في واد ظليل وتلتمع قطراته بألوان قزحية ويتبرد فيه الظاميء وقد لفحته الرمضاء بلهيبها وانهكته بحرها وهو لوحة ماتعة تنشد فيه العين جمالا وجلالا ومعزوفة تطرب الاذن لخريرها وهديرها المتناغم ولكنه في الشعر الانكليزي يضم هذه الخصائص جميها ويجاوزها الى التجسد والتشخيص الكامل فهو بشر سوى يقص علينا حكاية وجدانه أو ملاك علوي يصف لنا مثالية كيانه أو شيطان جهنمي يغرينا بجواذب شروره وآثامه وقس على ذلك ما شئت من صفات أبناء الفناء بنوازع نفوسهم ومطارح أخيلتهم وبوارق آمالهم واما نيهم .

في اقصى الزاوية الشمالية الغربية من انكلترا بقعة لا تتجاوز مساحتها الثلاثين من الاميال المربعة تدعى بمنطقة البحيرة وهي تزدان بطبيعة مونقة وتقترن بذكريات شعرية حلوة تفوق ما تضمه سائر المناطق الاخرى في المملكة المتحدة من مواطن الجمال . وثمة طريق حافل بالفتنة والرواء في هذه البقعة تنبت على جانبيه خميلة من العشب الاخضر وتنتصب اشجار ملتفة عذراء وتتعرج في تلاله كروم نضرة تنوء بعقود من الياقوت والجمان وتشق اطرافه جداول لاهثة ترفرف فوق صفحاتها الصقلية شباك مزيجة من الظل والنور والوان رفيفة يشده امامها اللب والبصر . وهو طريق مقدس ملهم تشعر الاقدام السائرة فيه بالمهابة والارتياع وتخطر اطياف الاخيار من عباقرة الشعر والادب وقد تفتحت احداقهم على بسطه السندسية وترعرعت نفوسهم في اجوائه السحرية واطبقت جفونهم على لوحاته وذكرياته وقامت اجداثهم بين زهوره الضاحكة الملتفة بالاعشاب الندية . وهذه الاجداث ملتقى الحجيج من رهفاء المشاعر والاحاسيس يتوافدون لزيارتها خاشعين من اطراف العالم الناطق بالانكليزية على مديد رقعته وفسيح ارجائه . وحسب هؤلاء الاخيار عظمة ان يكون في عدادهم امثال (رصكن) و (أرنولد) و (سذي) و (دي كونسي) و (ودزورث) الشاعر الذي اتحدث عنه الآن . وقد عبت روح (ودزورث) الشاعرية من افاويق هذه البقعة جرعات روية وتغذت من حقولها ومشاهدها وخصائصها حتى جاوزت حد الري والامتلاء وغشيها الضباب الذي يبسط رواقه من جبل (هلفلن) القديم . ولو امعنت النظر لرأيت الجداول اللألاءة والقمم التي تلفحها الرياح الهوجاء والاعاصير المتاثة والبحيرات الجبلية والتلال الزاهية بصنوف النبات الذهبي والارجواني كالرتم والخلنج تؤلف عناصر اصيلة في نظيمه وانسجة احلامه . ولا ريب ان التغلغل في هذه الارجاء ومشاهدة ربوعها واكتناه طبيعتها يؤدي الى فهم رسالة (ودزورث) التي حملها الى العالم وتأويل اسرارها المغلقة .

ولد شاعرنا سنة ١٧٧٠ في قرية تقع الى الطرف الشمالي من هذه البقعة المرعة وقضى شطرا برعاية جده يعبث ويلعب ويمرح بصحبة طفلة وسيمة رشيقة (ماري هتشنسون) وقد اصبحت فيما بعد فتاة احلامه و (طيف حبوره) – على حد قوله – وغدت زوجة ورفيقة تقاسمه عناء الحياة ورخاءها . وصرف اياما مدرسية حلوة باسمة في (هوكسهد) ثم دخل جامعة (كمبردج) الشهيرة فكانت ترتسم الخشونة في تقاطيعه وتنعكس السمات الجبلية في معالم وجهه . وهي سمات ينزع صاحبها الى الاستقلال والعزلة . وكان احتفاؤه بالطبيعة واكتناه اسرارها يفوق كثيرا عنايته بالكتب والاسفار وما سطر في صفحاتها من نظرات وخواطر وآراء لا تتصل بنفسه وبذاته الاصيلة اتصالا وثيق العرى محكم الاواصر . وبعد سنين قليلة مترددة حائرة عاد الى منطقة البحيرات ليصرف فيها سحابة عمره ، وغدا بيته الذي كان يدعى بـ (قصر الحمامة) موئل الانصار والحواريين يرتادونه كل سنة لانعاش مخيلتهم بالذكريات الجليلة والخواطر الشعرية العذبة . وبالقرب من هذا القصر التاريخي تلوح مقبرة (كراسمير) وفيها رقد شاعرنا سنة ١٨٥٠ رقدته الابدية وانتصبت فوق قبره شاهدة رخامية بسيطة لا تشوبها النقوش والزخارف المصطنعة .

وما اشبه حياة (وذزورث) في اطارها الخارجي ، بما تتحلى به من صفات وبساطة بقصيدة من قصائده الكثيرة الماتعة في صورها الواضحة واخيلتها الرائعة . فوقائع حياته وحوادث عمره الهامة ليست سوى تجارب نفسية روحية باطنية تنعكس في صفحات الشعرية التي يترجم بها سيرته الذاتية كما هو الحال في قصيدتي « المستهل » و « الرحلة » . نشأ يتيما ولم يكد يشب عن الطوق فعنى ذووه واقرباؤه بتعليمه وتثقيفه ولكن القلق والتململ كانا يساورانهم لانصرافه عن الحياة العملية وانطلاقه من نطاق الضرورة الحيوانية التي كانوا يعيشون بكنفها مقيدين بنيرها . وأنى لبصائرهم الحاسرة ونفوسهم القاصرة ان تتغلغل في اعماق هذه الروح الاثيرية التي يعمرها الايمان الراسخ برسالة الشاعرية وتحسب انها رسول الهي اومأت الطبيعة اليه بانطباعاتها وتأثيراتها لحمل هذه الرسالة المقدسة . شاهد في مستهل شبابه غروبا ساحرا في امسية جميلة وقد اضطرمت جوانب الافق بالارجوان واصطبغت الروابي القصية بالبنفسج الحزين فكان ذلك المنظر الجليل باعثا على التصعيد بروحه وحافزا لاداء خدمات مقدسة – على حد تعبيره – في اجواء الشاعرية الرهيبة :

« لم تجر النذور على لساني ، بل همستها الاطياف في جناني ، مواثيق مجهولة منحتها ، وآثام عظيمة جنبتها ، لتصبح روحي هبة للشاعرية المقدسة »

كان (وذزورث) شاعر الطبيعة في ابرز خصائصه . فلم يطاوله شاعر في كشف غلائل الكون الخارجي وتأويل ظواهره والنفاذ الى معانيه المستسرة ، او نقل رسائله وعبره الى الانسان وقلبه . وكان ولاؤه للطبيعة يتخطى درجة الحب والاعجاب الى مراقي الوجد والعبادة فهو ناسك واعظ يبشر الناس بسبحات معبوده المشرقة وآياته الخارقة . وثمة شعراء يحسبون الطبيعة لوحات تطيب على التخطيط والتلوين في اطر محدودة منفصلة ، وآخرون يدخلونها في نطاق العطف البشري والمتعة الغنائية الصرفة . ولكن وذزورث نفخ فيها الروح واكسبها نفسا تواشج النفس الانسانية وتندمج فيها . وقد كان منذ نعومة اظفاره رهيف الحس تستبد به انطباعات الطبيعة وتأثيراتها بصورة خارقة فشبه نفسه بذلك القيثار الاسطوري قائلا :

« واحسبني قيثارا مطيعا ، يرتقب لمسات الريح » –

ووصف تجاربه الاولى منشدا :

« يطوف الشلال المزبد في خيالي كانفعال رهيب : فالصخر الاصم ، والجبل الاشم ، والغابة الملتفة الظلماء ، الوانها واشكالها جميعا ، كانت شهوة في لساني وصبوة في كياني » –

ولكن هذه البواكير الشاردة لم تكن سوى بداية للتطور الشعري في مخيلته . وهي ذهول الصبا يعقبه تفتح الذهن على الوان الفكر المخضلة وتأملات النفس الواجدة . وفي قصيدته « ابيات منظومة في مطلع الربيع » يصف الروح الحية الواعية في الطبيعة وتأثيرها المثمر في كل قلب « يرقب ويتلقى » – على حد تعبيره – وفي ذلك يقول :

« كل زهرة في يقيني ، يلذ لها الهواء الذي تستنشقه » .

لاريب ان كل حضارة ممعنة في الآلية تجاوز سنن الطبيعة ونواهيها فتثير فيها دوافع النقمة وتحفزها الى الثأر ، فما هي الا برهة حتى ينطبع عقابها البطيء في الخدود الشاحبة والاعصاب الواهنة والجباه المظلمة





قريتي في السفح ، والسفح اخضرار ، واخضلال
تحتها الوادي ، وخلف السفح تمتد التلال
دان فيها الغاب ، والتفت به ، خصر ، وشال
تسبح الاطياب ، والانوار فيها ، والظلال
وجمال يتمناه ، لما فيه الجمال !!

قريتي في الريف ، في جفنيه ... زهو ، واختيال
يخصب الشعر بها ، يرتاح ، يخضل الخيال .
اسأل الدنيا ، وفي أعماق أعماقي سؤال !!
مالها تحلم بالنعمى ، بشيء لا ينال ؟؟
ملؤها ، ملء فم الدنيا ، صلاة ، وابتهال
همسها ، نجوى أمانيها ، أمانيها « جمال »

التي اندفعت في تيار الحياة الحديثة اندفاعا جامحا وآثرت دخان المصانع في المدن الجبارة على أهوية الجبال النقية وحفيف الاوراق في الحراج الخضراء . ظواهر عنها بعض المصلحين (كفرجيل) و (روسو) و (مولتين) و (لورنس) وغيرهم ووصفوا ما ارتأوه من صنوف العلاج فتراوحت اوصافهم بين الاسراف والتقتير ولكن صوت شاعرنا ما برح مدويا يتمتم بالنذر ويبث شكاته من نضوب الحياة في جذور الحضارة الراهنة ومداخلها الاخيرة وينعي على العالم الآلي وحشية واظفارا دامية . وتقتل هذه الفردية التي يتصف بها شاعرنا في قصيدة عصماء عنوانها « عزيمة واستقلال » . ولا يزال طيف ودزورث في هذا العصر الذي تسيطر عليه روح القطيع مدرها فذا ولسانا جهيرا يذود عن حرية النفس والعقل فلا يقتصر في دفاعه ، مثلا ، على (شكسبير) و (ملتون) وغيرهما من العباقرة الخارقين بل يتخطاهما الى الرعاة المسنين والصعاليك المهملين ، ويحفزه الخيال بعين البصيرة الثاقبة الى البحث عن القيمة الفردية حتى في أحقر الزهور ، وادنى الحشرات ، واتفه المظاهر :

« شغفت طويلا بما تشاهد عيناي ، كالليل الساجي ، والنهار الطروب ، وابسط ما تنبته الارض الحنون يغنيني ـ دموعها وحبورها ـ بل اوضع الحبور وادنى الدموع » .

والعمري ان رفقة هذا الشاعر العظيم مفضية الى اثارة المشاعر النبيلة الكامنة في صميمنا وهي حرية ان تنقذنا من غثيث الفكر والتخيل فلا نفغر افواها بلهاء امام مشاهد الطبيعة الرائعة ، ولا نرى الزهرة النامية على ضفة الساقية ـ على حد وصفه ـ زهرة فحسب بل رمزا حيا وروحا ملهمة . وهو يرشد سبيلنا المدلهم بنور النجوم الثواقب وينعشنا برجفة الصبح المسفر ، ويلح في دعوتنا الى الاهتداء بالخير المنطوي في نفوسنا ، فصحبته في عالم الشعر ثواء هنيء في ذروة الفكر .

صلاح المحايري

الممثل: بين السينما والمسرح

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

ان الجدير حقا باسم الممثل هو الممثل المسرحي ، ولكن ظهور السينما وانتشارها في عصرنا الحديث وطغيانها على المسرح قد اوجد نوعا جديدا من الممثلين والممثلات حرص ارباب السينما على الدعاوة لهم حتى طبقت شهرتهم الآفاق ، واصبحوا معبودي الجماهير . وقد احكمت اسباب هذه الدعاوة ونظمت اساليبها حتى فاق الممثلون السينمائيون في الصيت وذيوع الاسم زملاءهم المسرحيين، بل لقد اصبح وجود ممثل كبير او « نجمة » كبيرة في فيلم شرطا اساسيا لرواجه واقبال الجمهور عليه .

وفي الواقع لقد استقر في الاذهان وجود ممثل سينمائي الى جانب الممثل المسرحي على اعتبار ان السينما فن قائم بذاته ، مستقل في مناهجه وطريقته عن الفن المسرحي ، زد على ذلك المؤهلات العقلية والجسمية والحسية التي تفرض السينما وجودها في الممثل المعرض لتصويب المكبرات الصوتية وتسديد العدسات التصويرية والانوار الكشافة الفاضحة .

الممثلون السينمائيون فريقان « فريق جاء الى السينما عن طريق المسرح وآخرون لم يمروا بهذه المرحلة بل انتقلوا رأسا الى الشاشة عن طريق الهواية او الارتجال او الصدفة ، ولكن الدراسات والاحصاءات عند جميع الامم المصدرة للافلام قد اثبتت ان ابطال السينما المشهورين مروا بمراحل التمثيل المسرحي فاكتسبوا تجارب المسرح ، ولعل شهرتهم في المسرح قد مهدت لهم السبيل للعمل السينمائي ، وما نجاحهم في هذا العمل الا لوجود عناصر شبه بين الفنين الى جانب عناصر التباين والاختلاف بينهما مما دعا احد مؤرخي السينما الى القول : « اذا كانت مواهب الممثل المسرحي عونا له عند مجيئه الى السينما فان فنية « تكنيك » مهنته الاولى لن تكون له سوى اداة ازعاج وتعطيل فان هناك تضاربا لا يمكن تذليله بين قوانين هاتين المهنتين. ان هناك اشخاصا موهوبين يستطيعون مزاولة كلا النوعين وهذا لا يعني ان من يجيد احدهما يستطيع ان يكيف موهبته حسب شروط الفن الثاني » .

ما هي مظاهر الخلاف بين هذين الفنين ؟

ان اولى مظاهرها تلك التي تنتج عن تقطع التمثيل وعدم انتظام وقوعه الزمني ، فان من مقتضيات العمل في « الاستوديو » تجمع الادوار المراد تصويرها في جو تزيني واحد ، والمعروف انه من الممكن بدء الفيلم من منتصفه او آخره واتمام الدور بعد اسابيع من تمثيله، والعمل يجري في جو حركي فيه اخذ ورد وهذا مما يفوت على الممثل فرصة الشعور اثناء التمثيل بوحدة الشخصية والاستفادة من الترابط الحاصل من التنقل من عاطفة الى اخرى ، فالتصوير يجري في اوقات متقطعة غير عادية محددة على اسابيع بل على شهور . فان مقطعا تمثيليا يقتضي عدة دقائق قد يمتد تصويره عدة اسابيع ، وان يوما كاملا من العمل يعادل دقيقتين في العرض ، لان الممثل السينمائي لا يستطيع ان يتدرب على دوره كما هي الحال في المسرح فيتيح له التدرب التشبع بدوره ، وتقمص شخصيته لكي يمثل بعد ذلك دوره دون انقطاع فلا يزال الممثل السينمائي يعيد مقطعا من دوره وجزءا من كلماته وحركاته حتى يبلغ الاجادة على الا يعود اليه بعد تسجيله ، وهكذا يجب على الممثل السينمائي الظهور فجاءة دون المرور بمراحل تمهيدية ، وافتعال عواطف الغضب والفرح والغيرة والفناء والحب فيعيش دوره متقطعا وفي برهات وجيزة فهو لا يعيش الحياة في سيلانها السوي وانسيابها المتسق وقد قارن احد كبار الممثلين بين الممثل السينمائي والمسرحي فشبه دور الاول بغطسة في الماء البارد ، والثاني بسباحة في الاعماق » .

اما الممثل المسرحي فانه يزداد على خشبة المسرح حساسية بوجود الجمهور فهو في وسط عاطفي مناسب فان غاية الممثل التأثير على الجمهور ، والميزان الوحيد لهذا التأثير هو «الوقع» الذي يحدثه فيهم ، وهم لم يأتوا الى المسرح في منجى من الجمهور والتأثير ، واذا كان هناك تأثر من الا ليضحكوا او يبكوا اويتأثروا في حين ان الممثل السينمائي جانب الجمهور فانما هو يأتي بعد التمثيل ، فليس « الوقع » بميزان الاجادة في هذه الحال فهو يختفي في الحركات التي صورت تحت الاضواء الشديدة ، وفي زوايا الاستوديو الضيقة وفي الوقت الذي يقف فيه الممثل المسرحي امام جمهور بعيد نسبيا فيكيف بالتالي تعبيراته الوجهية والصوتية فان الممثل السينمائي يمثل ويتكلم

امام عدسة مكبر قريبين فيحرم عليه والحالة هذه تفخيم صوته او المبالغة في الحركات لكي يشهدها الجمهور فان اقل مبالغة تتضخم وتكبر فوق نسبتها عند العرض . وهذا يعني ان هناك - بالنسبة لممثل السينما - قيودا حتمية لا يمكن الخلاص منها . على ان الفن الحديث قد وضع تحت تصرفه امكانيات جديدة تساعده في عمله التمثيلي في حين حرم منها الممثل المسرحي فان اقل حركة ، او تقطيب خفيف للوجه ، او تنهد او حفيف بسيط او غير ذلك من الامور التي يصعب على النظارة في المسرح اكتشافها والانتباه لها قد تأخذ في السينما قيما تعبيرية هائلة بواسطة المكبرات الصوتية الحساسة والعدسات التصويرية المجسمة .

ولا ريب في ان عادات مهنية مكتسبة من المسرح قد تصبح من عوائق التمثيل السينمائي « الاوستوديو » وجدر بالملاحظة ان على الممثل المسرحي ان يكيف تمثيله حسب اتساع المكان وضيقه ، وان يعلم ان تغيير الامكنة التمثيلية تتناسب ونوعية التمثيليات ، ومن الطبيعي ان يجيد ممثلون التمثيل السينمائي ، وغيرهم التمثيل في الهواء الطلق وبعضهم تمثيل المآسي القديمة في مدرج كبير وآخرون في مسرح صغير او ردهة خاصة كل وهكذا يبدو ان شروط العمل في التمثيل السينمائي تختلف عنها في التمثيل المسرحي ، ومهما سمت مواهب الممثل السينمائي فانه خاضع دوما لمشيئة المخرج ومساعديه الفنيين ، ولا ريب ان رقابة المخرج موجودة في المسرح ايضا ، ولكن الممثل المسرحي يحتفظ بحريته على الاقل اثناء التمثيل في حين ان قيمة الممثل السينمائي تخضع لعناصر عديدة تشمل التصوير وهندسة الصوت والاخراج والتركيب وقد صدق مؤرخ السينما رينه كلير حين قال : « يجب على الممثل السينمائي ان يوكل الى المخرج دوما عبء تقدير تمثيله » .

كيف تستخدم السينما الصفات الاساسية عند الممثل السينمائي ؟ ..

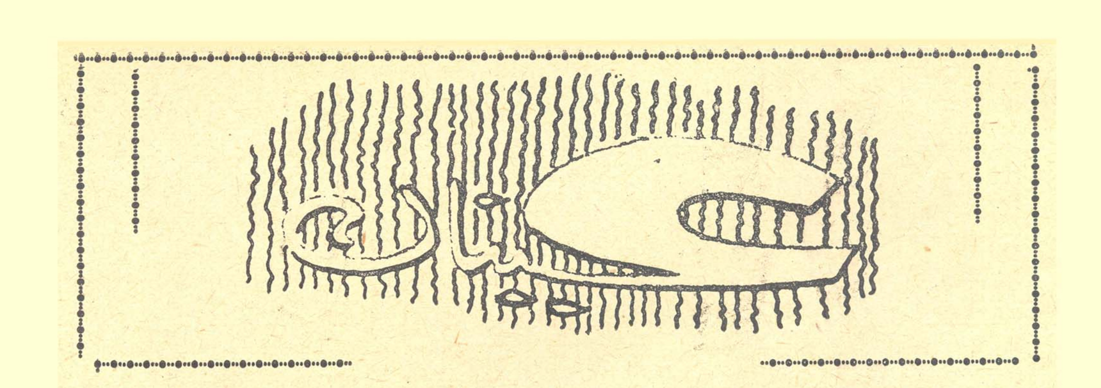
من اولى هذه الصفات الجمال الجسماني ، وهذا شيء طبيعي بالنسبة للسينما القائمة على فن الصورة ، ولذا عمد السينمائيون الى اصطفاء عدد هائل من الشبان والشابات ذوي الخلقة الجميلة ، لان السينما مكان صالح لتنبه الغريزة العشقية عند المتفرج ولان الشروط الخاصة للتمثيل السينمائي والتفاعل التنويمي في الظلمة واستعمال الوسائل لتوجيه التيار الجنسي عند المتفرجين كل هذا يفسر هذا التفتيش المستمر عن النجوم السينمائيين ممن جادت عليهم الطبيعية بالخلقة السوية . وهل يكفي هذا الجاذب الجنسي ؟ كلا والدليل ان بعض الممثلين ليس عندهم هذا الجاذب .

والحقيقة ان النجاح وليد عوامل عديدة ، فهو اتساق مجموعة من الصفات فتسيطر احداها في الوقت الذي تفعل بقية الصفات فعلها . فهناك ممثلون بنوا مجدهم بمواجبهم كما ان هناك ممثلين استفادوا من جمال التكوين وغيرهم من الجاذب الجنسي ، ولو كانت الموهبة وحدها سر النجاح لاصبحت القضية منطقية لاتحتاج الى نقاش شأن الممثل المسرحي الذي يرتفع بمواهبه في سلم الشهرة والمجد ، اما في السينما فان الممثل يعتمد على الموهبة وعلى اشياء اخرى هي اتساق الشكل الجسماني والصفات النفسية والاجتماعية التي تشكل ما يسمونه « بالنموذج » الذي تتجمع فيه خصائص انسانية سائدة مستمدة من الحقائق الازلية الخالدة .

فهناك ممثلون كبار يفرضون وجودهم بشخصياتهم التي تبدو من خلال شخصيات اصيلة ، وهناك آخرون تتبلور فيهم ناحية من النواحي بشكلها ودقتها فتعبر عن نموذج او مفهوم عام يتجاوب مع الاذواق السائدة وعلى كل حال فان هذا « النموذج » هو منبع التجاوب بين الممثل والجماهير ، ولذا حرص منتجو السينما على انتخاب الممثلين الذين يعبرون عن نموذج معين في زمان معين ، وهذا ما يفسر صعود بعض الممثلين المفاجيء في سلم الشهرة والمجد السينمائيين وسقوطهم بعد برهة وجيزة لان انتخابهم لم يكن متصلا بجذور انسانية عميقة تضمن له البقاء بل كان خاضعا لاهواء الساعة والازياء العابرة .

ان التأثير على الجمهور والفوز باعجابه ورضاه هي قضية اساسية عند الممثل المسرحي ، تقوم على المشاركة والصلة المباشرة والاحتكاك بالنظارة اما الممثل السينمائي فان غايته السيطرة على الجماهير وغزوها من اقصر طريق واهون سبيل في حين ان التمثيل المسرحي يقوم على الداب والصبر والاجتهاد وحفظ النص المكتوب وتمثل الاثر الادبي واجتياز طريق الفن الطويلة الملأى بالعثرات على مراحل فيجد في نهايتها المجد والخلود .





عيناك قد رمتا فلست أبالي ... ان كان في عينيك الف ضلال
من أين هذا الخمر من أين الشذا ... من أي فاغية وأي تلال
من أي خابية وأية حانة ... من أي عنقود وأي دوالي
من اين هذا الموج من أين السنا ... من أين هذا السكب كالشلال
ساءلت دالية التلال فجمجمت ... أوراقها واستعجمت لسؤالي
وأتيت كل مشعشع في أفقه ... فأشاح ينفض زيقه بدلال
جن الشعاع فراح يحملني على ... هز المنى وببادر الآمال
آمنت أن الخمر غير صفاته ... خمر الكؤوس تزيد في بلبالي
هذا الشعاع عليه يشدو خافقي ... وعليه يرتاد الهجوم خيالي
تهمي الطيوف على ربيع جناحه ... ويموج في حلو الطيوف مجالي
تحت الشعاع تعود نفسي غيرها ... وتتيه لا ترضى بقاب منال
تصفو فتشرب بالصباح كؤوسها ... وتروح هائمة بألف جمال
الدرب حف بكل اخضر مائج ... والجو هف بألف حق غوالي
وأطل حولي كل حلم باسم ... نشوان بين خمائل وظلال

أنا على عينيك في عالم ... يغفو على هدهدة اليم
تحمله لاهية موجة ... تلهث من لثم ومن ضم
أنا على عينيك في عالم ... لكنه خال من الهم

* * *

أروده منتقلا لاهيا ... كالطير من أكم الى أكم
أروده في نشوة حلوة ... دبيبها أطيب من حلم
مررت بالنجم على نشوتي ... فانتفض النجم على شمي
تنادت الانجم مشدوهة ... وراحت الانجم في لثمي

* * *

عيناك يحلو بهما واقعي ... وينتفي من واقعي وهمي
لولاهما ما شع في أفقه ... نور ولا قرط بالنجم
يا بيدر الاحلام الهمتني ... مطارح الخيال والعزم
الهمتني ما قر في خاطري ... اني أنا الكون على جرمي
أغدو وفي يدي مفاتيحه ... أفض كل مغلق جهم

حنا الطيار



بقلم : الدكتور سامي الدهان

الكلمة الطيبة التي ألقاها الدكتور الدهان في يوم تكريم فرحات في « كفر شيما »

أيتها السيدات والسادة :

منذ لقيت الصديق فرحات على شطآن بردى اول مرة سقطت بيننا تقاليد الكلفة ، فلا هو ذلك الشاعر الفحل المرتقب الذي نثرت له دمشق طاقات الورد في كل حديث وعلى كل وجه وفي كل درب ، ولا أنا ذلك الزائر الذي يصل اليه من الزحام في قلق وتردد .

فلما فصلت عنه الى ديوانه رحت اتساءل عن هذا اللقاء والود السريع ، وأعجب أشد العجب لنفسي الجريئة الحيية معاً ، والكن نفسي لم تسكت على اتهامها، فانبرت تبرر ما صنعت من شر وحدثتني فيما حدثت تقول :

الا تعرف الرجل ؟ ألم تقرأ له ؟ ألم تسمع به ؟ ، انه هو الذي وقف على قمم الشعر خلال الاجيال والاقطار يغني من البرناس الى رومة ، ومنها الى الراين ومن الراين الى فرساي ، وجاز خلال الشرق فطاف قممه العربية ، وسكن بغداد ودمشق ولبنان ، انه الفتى الشاعر الغريب نجي الالهام ورفيق الاحلام وصديق الانسانية ، يتغنى على الدهور في كل لغة ، ويتقمص في الناس بأرفع جسد ، وهو اليوم قد سكن في جسد صديقك الذي تدعوه الياس فرحات ، وتقول انه من كفر شيما ، فلا تخدع ولا تصدق ما يتخذ من اسم ومن عنوان ومن سكن .

أجل ان جسمه صنع في هذه القرية الصغيرة ، لو عرفتها لرايت في كل جدار منها ظلا لعبقرية ، وتحت كل شجرة ينبوعا لعلم ومعرفة . سكن فيها اليازجيون وآل تقلا والشميل قبل صديقك ، وخطوا في سمائها بحياتهم خطوطا ما تزال مكتوبة من نور . انهم أثاروا الجن والملائكة ، وانهم كالزوبعة في البحر أخرجوا درره وشقوا أصدافه ، وعاشوا في دنيا العرب على قمم العبقرية شوامخ تكلل هاماتهم عمائم الخلود وغار الامجاد.

ومذ صنع الجسد في كفر شيما ، نزع الله من صدر الفتى كل غل ، وزرع فيه اباء وطموحا وعنادا ، ولكن الفتى انصرف الى اللهو والعبث في ظاهر الامر ، فاذا أقبل على المدرسة ، انصرف عنها صغيرا ، فقد ضاقت به وضاق بها ، ولم يحتمل أنفه الصبيان ولم تستمريء نفسه المعلمين ولم يطمح قلبه الى الشهادات ، فقد كانت وراء نفسه فكرة عجيبة تغريه برسالة لا يعرفها الناس ، هي رسالة الانبياء ، وكانت تلوح لعينيه دائما ورقة كبيرة لا لون لها ولا توقيع يزينها ، كتبت بلغة لايفهمها الا امثال صديقك ، لعلها شهادة الخلود .

كذلك يا صديقي طبع الله قلب فرحات بالزجل اللبناني الحلو ، والكلام الجميل ، فاذا شب تدفق عليه الشعر قبل ان يعرف العروض ، ونسج من دمعه وضلوعه ابياتا وابياتا تمتم بها في أصائله والاسحار ، وكان عليه لقاء هذا ان يدفع الجزية ، جزية العبقرية كما دفعها اولئك الذين تعرفهم وتقرأ لهم في اعتزاز واكبار ، فقد وتعسوا وجاعوا وتعروا ، وجهلهم معاصروهم ، ولكنهم اخيرا فرضوا على الجيل كله حبهم واحترامهم وخلودهم .

وضاقت القرية في عين الفتى ، فاحتمله الموج الى شاطىء بعيد ، وركب اليه مراكب المهجرة مع باعة السلع وسماسرة الرقيق الابيض ، فنزل في قوم عبدوا المال وساقوا قطيع الرزق ، على الغبار والشوق ، فقضوا حياتهم كالقطيع ومدية الزمان مسلطة على الرءوس .

ولكن فتانا عاش فيهم غريبا ، ذاهلا لما يرى كافرا بما يسمع فقد هاله ان يرى القوم يقدسون الغنى وحده ، ولا يجدون الحياة الا في الثياب البراقة والعربات الفاخرة والابنية الشامخة والنساء محليات الصدور ، فتعرى في اللابسين، ومشى في الراكبين ، وسكن العش في مدينة السامقات الى السحاب ، وهو يتمتم في احلام الراعي :

فرب ذئب عاش في المدينة
مكتسيا بالخز والكشمير
كم خبز الظلم له عجينة
مجبولة بعرق الفقير

وعاش مع زوجه ام خالد كالطير والطير يغدوان خفافا ويرجعان ثقالا بحب يسد الرمق ، وبيوتا من الشعر تلون وجه الافق ، وغناء تسكر به آلهة الشعر ، فكأن في جسمه مع الناس وفي روحه مع هذه الآلهة .

ولكن يزين له الحياة كما يرضين لحبيبهن ، فيكتسي بالفخر اذ يلتقي بهن في خلواته الروحية يباركنه ويمسحن على فمه ، ويحملنه حيث تريد روحه في مركبة الدهر الى اجواء السحر والعطر ، ويجعلنه على بساط

الريح يعلين به الى السماء ، فيرى الكون من عل نملا يسير ، ووحشا يدب ، والضباب يعمي الابصار ، والحقد يسعى الى الصدور ، والجشع يفتك في النفوس ، والتدين بزيف الدين ، والرياء يطغي على القلوب ، فاذا به يغني «رباعياته» ما سكر العقل قبلها الا بجام الخيام وكأس المعري وجرعات المتنبي ، على الفاظ البحتري ووصف ابن الرومي ، يرى الناس كالصنم فيقول :

كم في البرية من حي تدور به
الغبراء وهو على الغبراء كالصنم
نور الوجود على عينيه منتشر
ونفسه لم تزل في ظلمة العدم

ويحتقر التجارة والمال فيغني :

فلاسفة الاعارب من قرون
قد احتقروا التجار وقد أصابوا
فما سوق التجارة غير غاب
تناهش في جوانبها الذئاب
رميت بها وما في الكف ظفر
أذود به وما في الكف ناب
فلم يسلم من التمزيق جلدي
ولم تسلم على جلدي الثياب

ونظر الى الدول وسخر من سلامها المزعوم ، فقال :

أطلاب السلام كفى رياء
فما أقوالكم الا خداع
وليس صدوركم الا ظلاماً
بهيماً لا يلوح به شعاع
ومؤتمراتكم سوق وفيها
ضلال يشترى وهدى يباع
ونزع سلاحكم سهل ولكن
متى نزعت مخالبها السباع

وهكذا حملته الآلهة الى كل سهل وجبل ، ودولة ومؤتمر فعرض عليه الناس والملوك والدول وكشفن عن بصيرته فرأى ما لايرى قومه في الغربة والوطن ، وجرحن كبرياءه حين حلقن به فوق بلاده العربية فرأى من أخلاقها ما لايرى غيره ، رأى اخلاقا تكدرت بالمادة واباء بيع بالذهب ، وشهد استرقاقا واستعبادا على جسر من الالقاب والمراتب :

أرى في شعبنا بعضاً ذليلا
وأخشى أن يصير البعض كلا
فداء الذل في الارواح معد
كداء السل في الاجسام حلا

وطفق الشاعر يغني ويغني والآلهة تطرب لنقده وروحه المرحة ونكاته وسخريته الجاحظية ، فهو حين تجعد وجهه نظر في المرآة فقال :

بي من فتون الغانيات ومن قلى
يظهرنه الله يعلم ما بي
أدنو الى المرآة آخذ رأيها
جزعاً وأسألها عن الاسباب
ما بالهن اذا دنوت محاولا
ارضائهن رغبن في اغضابي
وأنا أنا الصب الذي يعرفنه
لم تأخذ الايام غير شبابي

واذا سقط شعره عبثت به ابنته الصغيرة منى فأجابها :

عبثت مناي بصلعتي وتضاحكت
لما نهضت الى التمشط انشط
ومضت بلثغتها تقول لأمها
أرأيت ماما أقرعاً يتمشط
أبنيتي ان الحياة لسلم
يهنيك انك تصعدين واهبط
والدهر ياولدي يغربل لمتي
فالبيض تثبت والحوالك تسقط

وضجت آلهة الشعر في السماء ضحكا وغنته احداهن ما كان ينشده قبل أعوام لتستفزه الى الشباب وذكرى خصلة الشعر :

سكرت بعينيك منذ الازل
وها أنا في سكرتي لم أزل
الا تذكرين الزمان القديم
الا تذكرين الزمان الاول
الا تذكرين بأنا وجدنا
محبين قبل وجود الغزل
وانا شهدنا سقوط العروش
وأنا شهدنا قيام الدول

* * *

تحولت في الروض من زهرة
الى نحلة لا تطيق الكسل
وكنت رفيقك في الانقلاب
وعونك عند ازدياد العمل
نطير الى الروض عند الصباح
وننقل من زهرها ما انتقل

ونحتال في صنع تلك الشهاد
وان قوام الحياة الحيل
وفاجأنا الموت يوماً فمتنا
ولكن مماتاً قصير الاجل

وتجهم وجه الشاعر الحبيب لهذه الذكرى ، ذكرى الربيع من ديوانه ، وقد كان بعده صيف ، وخريف ، فتمتم اني أخاف الشتاء وارتجف منه .

كذلك يا صديقي اعترف شاعرك بأنه ولد منذ الازل منذ القديم ، وكلف بالغزل ، وتتوج بالحكمة ، وتغنى بالجمال ، وفاض بالوطنية ، فقد شهد العروش والدول، وتحول من زهرة الى نحلة ، ومن نحلة الى طير ، وقد بعثه الله اليوم في جسد عربي من كفر شيما بلبنان . وزفته آلهة الشعر الى هذا القطر بعد طول جفاء وبعثته للعرب بعد جفاف كثير ، ليكون ناياً يغني ، وقيثارة تنشد ، ورسول معجزة ، فلم يدخل الجامعات ولم يقرأ كتب الادب صغيرا ، فكان صفاؤه أصيلا ، وكانت حياته صورة لشعره ، وشعره صورة صورة لحياته ، على بيان جميل وسهولة مذهلة ومعان متصلة وتجديد لا عهد للشعر العربي بمثله الا في الندرة بعد الندرة . وقد عرفت صراحته وبساطته ، وجرأته وعناده ، وحماسته في حبه ، واندفاعه في حب بلاده ، وتضحيته من أجلها ، وعشقه للعرب ، ولعلك ياصديقي نسيت انك رقصت في مهرجان الشعر بدمشق حين غنى الآلاف المحتشدة :

وطني حببتك سيدا ومسودا
وحببت أهلك عوسجا وورودا
أبغي لهم رتب العلى ولو انهم
تخذوا على جسدي الطريق صعودا
وطني الذي لغة العروبة خططت
لبنيه لا المتعصبون حدودا
شيدت في لبنانه بقصائدي
قصرا تشامخ في السماء عمودا
ومددت في صحرائه طنبا غدا
وترا على قيثاره مشدودا
يسري النسيم به فيبعث أنة
حرى ترجعها الرياح رعودا
يا للجناية ما نظمت قصيدة
في حسنه الا قتلت حسودا
ولو استطعت قتلت مال ملوكه
بذلا لأبعث عزه المفقودا

فكان يضج بالشكوى والانين كلما أصاب الشرق هم وكان يتصل بأحداثه وحوادثه ، كأنه يعيش فيه ، حتى كانت له نفسان واحدة تعيش معه وأخرى تعيش في وطنه ، مع آلامه وآماله . فصديقك لم يكن مهاجرا بين المهاجرين أو نازحا بين النازحين . ولا يهاجر من يسكن قلبه الوطن ، وتعيش أرضه في جفونه وتضج أذناه بهمسات أحبابه واصحابه ، ينام على حلم مزعج للاحداث ويصحو على أمل للقيا وطنه عظيما مستقلا أبيا ماجدا .

وها أنت اذ تراه حقق الحلم فأصبح كالطفل يستمع يستمع الى حديث قومه فيفرح باللقاء فرح الطفل بعيده ، يمتع أذنيه بحديث عربي أصيل ، فقد كره رطانة المتأمركين وعنجهية المثرين الجاهلين . انه عيده في أهله بكفر شيما ، يشهد العرس الذي تقيمه لبنان لعريس المفاخر والامجاد ، فهل تراك توفيه حق شاعريته أو تفهم حياته من شعره ، كما يقولون .

ايتها السيدات والسادة :

وقف فاليري مرة بالسوربون يتحدث عن غوته ١٩٢٣ ، فاذا به يرى ان البحث عن الشاعر من خلال الاوراق والاحاديث والقصائد عبث ، لان الناقد لن يعيش معه في عزلته وسموه . والمظاهر التي تحيط بالشجرة لاتدل على نكهة الثمرة ، فالتربة المخفية تحت الارض هي كل شيء .

ان الثمرة امامكم ، ومن ارضكم المباركة من لبنان قرة اعين العرب ، ونافذتهم الى الشعر والجمال فلا بد ان تكون الثمرة عظيمة لانها منكم ومن ماء كفر شيما ، فانعموا بأريجها ، طال عمر الشاعر مغرداً مغردا ،وطابت نفوسكم أبدا ، وعمتم مساء .

سامي الدهان

الصيف والمأساة

قصة بقلم :

سليم زهدي

عندما فتحت المدارس ابوابها ، .. كنت ترى جموع المعلمين والطلاب وقد امتلأ بهم الصباح كحبات الندى ،.. ووزعهم على كل دروبه وحاراته ... كان المفروض أن استيقظ باكرا ، كما يستيقظ غيري من المعلمين ، ثم اتناول فطوري واحمل في يدي دفترا سميك الغلاف وأقذف بنفسي الى الشارع حيث يوزعني الصباح مع من يوزع لتبتلعني بعد لحظات مدرسة ما من مدارس هذه المدينة الكثيرة المنتشرة في كل حي ... ولكنني لم افعل ، .. بقيت نائما حتى ارتفعت الشمس وهجمت من النافذة تأكل وجهي ، وتنهش السرير ، .. لم يكن ثمة شيء استيقظ من اجله باكرا فقد قالوا لنا البارحة :

ـ اذهبوا الى بيوتكم وانتظروا ، ..

ـ والتشكيلات ؟ ...

ـ راجعونا ..

والحقيقة انني بدأت أشعر بأسى كبير منذ اللحظة التي سمعت بها جوابهم فقد تخيلت نفسي اجتر مرة اخرى فراغ الصيف الموزع بين فراغ البيت وامتلاء المقهى بالفراغ ... انا اكره الصيف ، ... اكرهه كما اكره منظر ضفدعة مقلوبة على ظهرها وقد داستها الاقدام ، ... دائما يدخل وهو يحمل على رأسه مأساة كبيرة يقرع بها صدري ويكاد يفرغني من كل شيء آمنت به في حياتي ... الله ، الانسان ، الحب ، .. كلها اشياء تبدو صغيرة وتافهة اذا ما اختلطت مع المأساة وذابت معها... لتشكل مزيجا غريبا من الافكار اجترها طويلا ، واعيش معها بكل اعصابي المنهارة وضعفي وانهزاميتي ، ... ذكريات اشعر كأنني مشدود اليها لا استطيع التخلص او الفكاك ... محزوم بها كما تحزم بضاعة على ظهر شاحنة ... دائما تلاحقني ، تطاردني في الشارع ، في المقهى ، في البيت ، .. العلبة الضيقة التي لا تنفث الا حرا ونتانة ... الفراش الذي يشكو دائما الجوع والقذارة .. الاب الذي تركنا ندب في ارض البيت الترابية المحفرة ... الام التي اهترأت يداها من مساحيق الغسيل في بيوت الاغنياء ... الاخ الذي ودعنا حاملا بندقيته ولم يعد ... الاخت الخرساء التي حاولت اكثر من مرة ان ترمي نفسها في بئر البيت العميق ... هذه المآسي الصغيرة جزء من حياتي اعيش معها مجبرا في بيئة لا يدخل اليها الخبز الا عن طريقي أنا ... عن طريق حنجرتي التي كادت ان تسكت ذات يوم الى الابد ....

* * *

منذ سنوات وانا اعيش معهم براتبي ... ارسل اليهم قسما كبيرا منه ، ... واتحايل على الباقي ليكفي ثمنا للطعام والتبغ وايجار الغرفة ، .. وبعض القعدات الضرورية في المقهى ايام الجمع والاعياد ... ومن مكاني البعيد في بلدة ما على ضفة الفرات كنت اتصور حال والدتي وهي تستلم الحوالة في اول كل شهر وتدعو لي بالرضى والتوفيق ... كنت اعتقد ان ما أرسله يكفي لأن تكف والدتي عن الغسيل في بيوت الاغنياء ولكنني كنت مخطأ ، فقد ذكرت لي في احدى رسائلها ان المبلغ لا يكاد يفي نفقات الطعام وطلبات المدرسة لاخوتي الصغار ... أزعجتني رسالة والدتي فبدأت ابحث عن بعض الدروس الخصوصية اعطيها لابناء الميسورين ... كان همي ان امنع والدتي عن الذهاب الى بيوت الاغنياء حيث تنتظرها في كل مرة تلة من الملابس القذرة ... ليس لانها اصبحت هرمة مهترئة اليدين فحسب ... وانما لأخلص ايضا من غمزات اصدقائي وتلميحاتهم في كل مرة يجمعني معهم مجلس او حديث ... ولكن ما ذا يهمني حديثهم ؟ ... انهم يعتقدون انه من العيب ان يسمح انسان محترم مثلي لامه ان تخدم في بيوت الناس حتى ولو اضطرت ان تموت مع اولادها من الجوع ، ... هل يعرفون غير هذا ؟ .. انهم لا يعرفون حياتنا لذلك لن يستطيعوا ان يحكموا ... أنا على يقين من ان أم أي

واحد منهم لو مرت بالظروف التي مرت بها والدتي لسمحت لنفسها ان تشتغل بأي شيء ، .. وربما فكرت احداهن ان تختار صنعة ما تدر ربحا كثيرا دونما تعب كثير ... المهم انه لا فرق بين أمي وأم أي واحد منهم الا من حيث الظروف ، .. لقد ضحت والدتي في سبيلنا فوق طاقتها يوم ان تركنا والدي صغارا ندب في ارض الدار الترابية المحفرة ... سبعة افواه تعوي الخبز وتطلب الطعام ... يوم ان كان لا خبز ولا طعام الا ويتحكم فيه المستعمر وانصاره من تجار الحروب الذين كانوا ينهبون قوت الشعب ويسيطرون على غلات البلاد ... يوم ذاك كان من الصعب على الانسان ان يملأ معدته دون ان يفرط من كرامته واعتداده بنفسه ولو شيئا قليلا .

في هذه الظروف القاسية بالذات كافحت والدتي وناضلت لتملأ بطوننا وتدخلنا المدارس في الوقت التي كادت ان تكون فيه وقفا على ابناء الاغنياء والميسورين ،.. كانت تخدم من اجل ذلك بشرف وتحافظ الى ابعد الحدود على كرامتها وكرامة الحروف التي تحشو بها رؤوسنا ،.. تماما كما كانت تحافظ على نظافة اللقمة التي تملأ بها بطوننا ... ولا تزال والدتي رغم مضي السنين تروي بفخر واعتداد حادثتها مع « الكابتن » الفرنسي رولان ... اضطرتها الظروف لان تخدم في منزله مدة من الزمن ... وكان الكابتن وزوجه يتباسطان معها احيانا بالحديث ويسألانها اسئلة كثيرة عن بعض رجالات البلدة واتصالاتهم التي يمكن ان تسمع بها بحكم ترددها على بيوت البعض المخدمة ... كانت تصمت دائما وتتجاهل اسئلتهم ... انها تكرههم وتكره حتى الدراهم التي ينقدونها اياها في مطلع كل شهر .. وتصبر على اهاناتهم المتكررة ريثما تجد باب الرزق الذي يسد حاجتها ... وذات يوم انفجرت قنبلة في منزل الكابتن وكادت تودي بحياته ... ظن ان القنبلة قد وضعت بمعرفة والدتي فاستدعاها واخذ يحاول ان يجعلها تعترف :

— انت العربية الوحيدة التي تدخل بيتنا ...

— ولكن من اين لي ان اعرف ...

— لا تنكري ... سنعطيك عشرة اكياس من الطحين ،..

— قلت لا اعرف ....

— كاذبة ... فقد رايتك مضطربة طيلة اليوم ... قولي من الفاعل .. هيا .. سنأخذك معنا لتخدمي في فرنسا ..

هيا .. لا تخافي ...

— انا لا احب فرنسا ...

— لن تتكلمي اذن ...

وهجم عليها يضربها ضربا وحشيا مبرحا بكلتا يديه ،.. ومزق لها صدر فستانها :

— ابتعد ايها الوحش .. ايها المجرم ..

— يظهر انك لن تعترفي الا عن طريق الجنس ... انت جميلة .. هيا .. من الفاعل ؟ ..

وبصقت في وجهه وهي تصرخ :

— اعرف ... اعرف لن اقول ... خسئت ايها المجرم .. اغتصبت بلادي .. سنرجعها حرة في يوم من الايام .. اماذا اغتصبتني فلن استطيع استرجاع شرفي ،.. لن يكون باستطاعتي ان ارجع حرة ونظيفة .. سأموت قبل ذلك ،... خسئت ايها المجرم ...

وفي ثورة الغضب امتدت يدها الى اناء الزهر الزجاجي وضربته به وولت هاربة حيث اخذتنا معها لنختفي مدة طويلة في مغارة بعيدة عن البلدة ... وقد اعترفت لنا والدتي بعد ذلك ان القنبلة قد وضعت من قبل احد الثوار وان عملية دخول الثائر قد تمت بمعرفتها .

لا يهمني الموقف البطولي الذي وقفته والدتي في وجه الكابتن ،.. المهم ان خدمة والدتي كانت تحدث بشرف وان تضحياتها في سبيلنا كانت عظيمة ورائعة وقد تعادل تضحيات ثلاث امهات او اكثر من امهات اصدقائي الذين لا يعجبهم ان تغسل والدتي في بيوت الاغنياء ....

وكثيرا ما تساءلت بيني وبين نفسي ما ذا يهمهم ان تكون امي غسالة او خدامة او أي شيء آخر ،... هل ينتقص ذلك شيئا من قدرهم او قدري ؟.. انهم يصادقونني ولا يصادقونها ،.. يتحدثون معي ولا يتحدثون معها .. لماذا لا ينظرون الى تضحياتها من اجلنا ؟ لماذا لا يحكمون علي أنا .. ان كنت جديرا بصداقتهم ومعاشرتهم ام لا .. ولكن اليس انا ابنها :

— ابن الغسالة ...

كأن هذه الصفة بالذات كافية بنظرهم لأن تجعل مني انسانا قذرا ملوثا لا يقربه انسان ... اريد واحدا منهم ... واحدا فقط يفهم ان امي تغسل الثياب يعني انها تعمل ... وما دامت تعمل فانها بحاجة الى هذا العمل ... المهم ان يكون العمل شريفا ونظيفا ... ولا احسب مطلقا ان عمل والدتي قد يكون فيه شيء من قلة الشرف او القذارة ... على كل حال انا انتظر واحدا منهم ان يتجرأ ويقول في حضوري شيئا ما يمس والدتي .. اذن لعرفت كيف اصرخ في وجهه ، واعلمه درسا في

التضحيـة والعصاميـة التي حملت لوائها والدتي ولقلت لـه بكل فخر :

ـ امي التي تتحدث عنها .. انها قديسة .. فدائية ».. تصور انها حافظت على حياتنا من الجوع ... ادخلتنـا المدارس ... جعلت مني معلما .. وهي تعد اخي الآن لتجعل منـه ضابطا ... لكم اتمنى ان تكون كل ام على وجه الارض مثل امي .

ولكن هل يفهم الناس معنى ان تكافح امي وحيدة مـن اجلنـا ؟ .. معنى ان تحافظ على حياتنا يوم ان كـان لرغيف الشعير قيمـة وأي قيمـة ... كان باستطاعتها ان تتركنا كما فعل غيرها للشوارع وتقعد في بيتها تنتظر عودتنا في المساء وما نحمله لها من تجوالنا في الشوارع .. ولكنها لم تفعـل .. فضلت ان تشقى على حسابنا ... فعملت وجاهدت لتخلق منا رجالا ... ترفع رأسهـا وتتباهى بهم امام الناس .

دائما اتساءل لماذا لا يقنع الناس بوالدتي ».. بتضحياتها بأمومتها ».. بشقائها من اجلنا ... انهم نادرا مايفعلون ذلك ».. وكثيرا ما تمنيت بيني وبين نفسي ان اذوب من الوجود ... واموت واخلق من جديد من ام غير هـذه الام .. وانا لا اتمنى ذلك لانني لا احب والدتي او لا ارغب في ان اكون ابنـا لها .. كلا ابدا .. بل لانني لا احب ان ينظر اليها النـاس نظرتهم هذه ويعيرونني بها :

ـ ابن الغسالة ...

غدا عندما اريد ان ابحث عن فتاة طيبة مثقفة » ... تشاركني حياتي ... أتراها ترضى بي .. مـاذا ستقول عن والدتي ... هل تقدر كفاحها من اجلنا ام انها ستنظر الى يديها المعروقتين المهترئتين وتبتسم ابتسامة صفراء خبيثة ... لا .. لن اسمح ان يحدث هذا .. ولن ابحث عن هذه الفتاة قبـل ان يتوظف اخي ويساعدني في بناء بيت مناسب وتأثيثـه .. قبل ان امنع والدتي عن الذهاب الى بيوت الاغنياء .. حينئذ سيكون باستطاعتها ان تخطب لي اجمل بنت في الحي .. الناس في هذه الايام لاينظرون الى الماضي .. المهم عندهم الحاضر .. لا يسألون مـا ذا كان فلان .. بل ما هو فلان الآن .. هناك فئة في مدينتي هبط عليها الجاه والثراء فجأة عن طريق المتاجرة بأشيـاء غير نظيفة .. بعض الناس يحترمونها ويقدرونها دون ان يكلفوا انفسهم عناء البحث عن اصلها وماضيها ، ودون ان يسألوها من اين اتاها هذا الجاه والثراء ؟... انها غنيـة وهذا يكفي بنظرهم .. على كل حال انا لا اريد ان اصبح غنيا ».. انا سعيد هكذا .. سعيد رغم المآسي التي أعيش معها منذ سنين .

* * *

ازعجتني رسالة والدتي فبدأت ابحث عن بعض الدروس الخصوصية أعطيها لابناء الميسورين ... وكان ان وفقت الى شاب ثري يبحث عن معلم ليعطيه بعض الدروس في اللغة الانكليزيـة التي سيضطر الى استعمالها اثناء رحلته الطويلة التي سيقوم بها الى اميركا ... واتفقنا » .. لا على اساس الدروس او الساعات بل على اساس عدد معين من الكلمات والجمل ... وكان المبلغ الذي عرضه مغريـا ومشجعا فبدأت تعليمه بكل ما املك من اندفاع المعلم واخلاصه . وبدا لي وانـا المس تقدمه في نطق الكلمات وتهجئتها انه لن يستغرق المـدة التي خمنتها له فـي البداية » ... والتي تنتهي قبل سفره بأيام ....

وذات يوم جاءني والفرحة تقفز من وجهـه وتسبق خطواتـه :

ـ سأسافر بعـد اسبوع ... وصلت البرقية ... وصلت اللحظـة ...

ـ والدروس ؟ ...

ـ سنسرع في انهائها ... سأكون معك لاربع او خمس ساعات في اليوم ...

ـ ولكنني سأكون مشغولا في المدرسة ...

ـ المدرسـة في النهـار .. والدروس في الليـل .. ارجوك ... سأسافر بعد اسبوع .. وصلت البرقية .. وصلت .

كان علي ان اختار بين ان استمر في اعطائه الدروس لساعات متواصلة كل مساء رغم تعبي المتواصل مـع تلاميذي اثنـاء النهار او الاعتذار عن اكمال بقية الدروس ، وهذا يعني بالطبع ضياع نصف المبلغ المتفق عليه علـى الاقل ... كان همي الوحيد ان امنع والدتي عن الذهاب الى بيوت الاغنياء لهـذا فضلت ان استمر مهما كـانت النتيجة . كانت رغبته في التعلم لا تقل عن رغبته فـي السفر » فتشجعت واندفعت اشرح لـه الدروس وافسرها تفسيرا وافيا وقد تقصدت ان اظهر كل ما اكتسبته مـن خبرة وبراعة في اصول التعليـم ... كـانت الدروس تستغرق عادة ساعات طويلة عدا الجهود الشاقة » ... وكنت اشعر بعـد كـل درس ان حنجرتي جافة تكـاد تنفجر كالصحراء ... وقد استغرقت في احد الدروس خمس ساعات كاملة لم اسكت خلالها الا لابتلـع دخان سجائري الرخيصة » ... وعندما انتهيت اشعلت لفافة

فاخرة قدمها لي الشاب ... احسست على الفور ان حلقي قد جف تماما وان حنجرتي قد انفجرت وتناثرت الى ملايين الاجزاء ... اردت ان اقول شيئا ... انطق بكلمة ، بحرف .. ولكنني كنت عاجزا حتى عن ابتلاع ريقي .. وعلى سريري في المستشفى الخاص بأمراض الحنجرة سمعت احدهم يقول :

ـ مسكين ... سيسكت الى الابد ان لم تنجح العملية ...

ـ لا تقل ذلك ستنجح باذن الله ...

ثم رأيت شابا لم اره قط في حياتي يتقدم نحوي وبيده مغلفا :

ـ لقد سافر البارحة ... وترك لك تمنياته بالشفاء وهذا المغلف ...

ـ ......

وعندما نجحت العملية صممت ان اقنع براتبي فلا ابحث عن رزق اضافي جديد ، بل اترك هذه المهمة لوالدتي لتبحث عنها على طريقتها الخاصة في بيوت الاغنياء ...

* * *

عدت هذا الصيف الى اللاذقية .. بلدتي الجميلة التي تحتضن البحر فارسها الاسمر الذي اودعته كل احلامها ... عدت لاعيش صيفا آخر مع المآسي الصغيرة التي يضج بها بيتنا ... والتي تبدو تافهة وصغيرة كحبة قمح امام مأساتي انا .. المأساة الكبيرة الموزعة بين فراغ البيت وامتلاء المقهى بالفراغ ... أشعر ان رأسي يدور ... وان شيئا ما يجثم هنا فوق صدري ... يمزق قلبي ، يقطعه ، يشرب منه دما ، يبصق فيه ... احس بالضجر والفراغ .. سمعتهم ذات مرة يتحدثون في الاذاعات عن الفراغ ... الحفرة الفارغة يجب ان تمتلىء ... ولكن هل ينبغي لها ان تمتلىء بأي شيء ... النفايات مثلا ... لماذا لا أمتلىء ... امتلىء بأي شيء ؟ ... أشعر بالوحدة تسحق اعصابي ... ارغب فى المرأة ... اراها فى الشارع فقط ... فى حياتى لم أعرف امرأة ما ... حدثنى أحدهم ذات مرة عن مكان يستطيع فيه الانسان ان يشبع رغباته .. لماذا لا احاول ؟ ... احاول ... هل يفطر الصائم على نتانة ؟ ... هل يرتوي الظمآن من كوب واحد ؟ ... لا تكن واهما ... ابق حيث انت مع مأساتك وافكارك انها جزء لا يتجزأ من حياتك انك مشدود اليها لا تستطيع التخلص او انفكاك ... دائما اتساءل هل يمكن لانسان مثلي يعيش مع مآسيه الصغيرة فى البيت ... العلبة الضيقة التى لا تنفث الا حرا ونتانة ... هل يمكن له ان يقضى صيفه الطويل دون ان يحس بالمأساة ... الاغنياء فى بلدتى لا يحسون بها يقضون صيفهم فى الجبال يتنعمون بالهواء الناعم ، والمناظر الخلابة ... يتركون لنا البلدة لنملأ شوارعها ومقاهيها بالمآسي ... انا اكره الصيف اكرهه كما اكره منظر ضفدعة مقلوبة على ظهرها وقد داستها الاقدام .. في الشتاء تبدو المأساة هينة يمكن ان تعاش دون كبير عناء .. المدرسة تملأ فراغ النهار ، والنوم يملأ قسما كبيرا من فراغ الليل ... مرة في الصيف حاولت ان اثور ... تحررت من ضعفي وانهزاميتي ... سافرت بعيدا .. اردت ان اتخلص من المأساة ... اسحقها ، اضيعها ... اقبرها خارج بلدتي كلفني ذلك كثيرا .. ماذا كانت النتيجة ؟ .. فشلت كالعادة ... فشلت حتى وانا هناك في مكان ما اسبح في الضوء الاحمر الخافت فوق قطعة كالثلج التهم بشراهة شيئا ما كحبة بندق صغيرة ... بلون البن المحروق ... وجدتني اندفع الى مأساتي ابحث عنها ... اخرجها من قبرها ... واحملها على رأسي واعود الى بلدتي ... لأعيش معها بقية الصيف بين فراغ البيت وامتلاء المقهى بالفراغ .

سينتهي الصيف ... ستفتح المدارس ابوابها ... سأذهب الى المدرسة لاثرثر مع تلاميذي ... ابيعهم الكلمات ... ابيعها رخيصة كما لو كانت صادرة عن آلة اوتوماتيكية حافظة ... في الشتاء تبدو المأساة هينة يمكن ان تعاش ... نقلت هذا العام الى بلدتي ... ترى كيف ستكون حياتي مع المآسي الصغيرة التي يضج بها بيتنا ... يتحدثون عن انعدام الشواغر في مدارس حينا ... لا يهم .. ان اية مدرسة من مدارس المدينة ستكون قادرة لان تخنق في بطنها المأساة او تخفف من حدتها على الاقل ...

وفي ذلك الصباح عندما فتحت المدارس ابوابها كنت ترى جموع المعلمين والطلاب وقد امتلأ بهم الصباح كحبات الندى ووزعهم على كل دروبه ... كان المفروض ان استيقظ باكرا كما يستيقظ غيري من المعلمين ... ثم اتناول فطوري واحمل في يدي دفترا سميك الغلاف واقذف بنفسي الى الشارع حيث يوزعني الصباح مع من يوزع لتبتلعني بعد لحظات مدرسة ما من مدارس هذه المدينة الكثيرة المنتشرة في كل حي ... ولكنني لم افعل .. بقيت نائما حتى ارتفعت الشمس وهجمت من النافذة تأكل وجهي وتنهش السرير ... لم يكن ثمة شيء استيقظ من اجله باكرا فقد قالوا لنا البارحة :

ـ اذهبوا الى بيوتكم وانتظروا ...

البقية على الصفحة « ٥٠ »

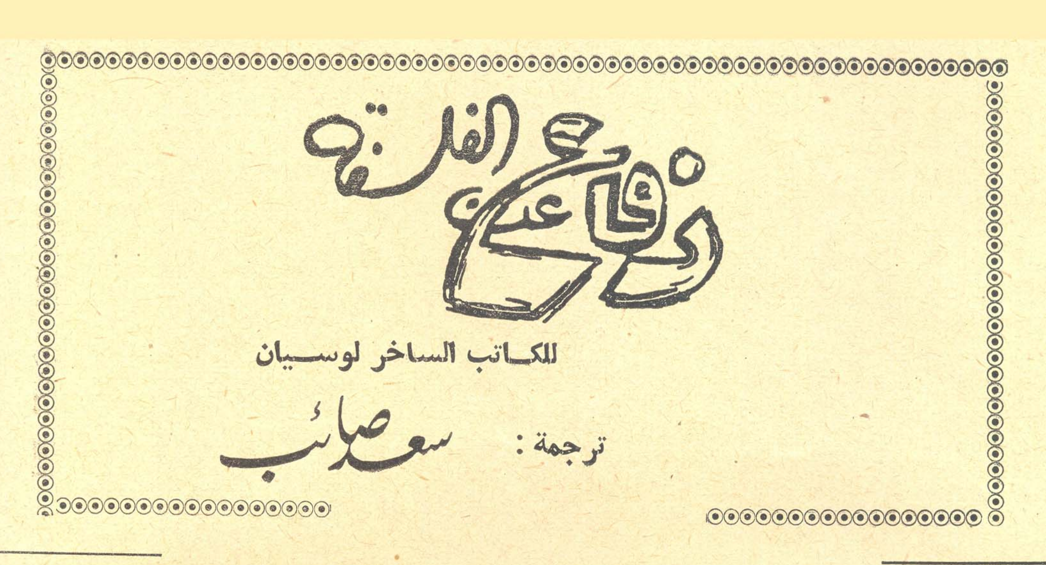
رحلة الضياع

شعر خليل خوري

احفر ، احفر مسراك صخور
ومدى يحيا فيه الديجور
وبلاقع سود
وجرود
قامت كالموت بدون حدود
احفر ، احفر فمداك بعيد
تيه ممدود
كالموت بدون حدود
ومداك سدود
وبلاقع سود
وجنادل كالصمت المعقود
صحراء رمال
وقفار بدون حدود
ومقالع سود
وجبال جليد
سدت درب الآتي الموعود
فاحفر ، احفر مسراك سدود
ومدى مسحور ،
وصخور
ودنى أقعى فيها الديجور
احفر
لا ظل تراه هناك
لا نأمة ظل ممدود
لا ماء يبل صداك
وسعير دماك

ويبل جراح عيونك يا مقهور
لا شيء سوى طين مصهور
وسراب
وضنى وعذاب
ويباب
لا شيء سوى طين مصهور
في دربك ، في مسراك
لا نأمة ظل ممدود
تقتات ضناك
لا حبة ماء ، لا نور
الصخر ، الصخر مدى مسراك
الشوك الشوك ووقع خطاك
لا شيء سوى الصمت المعقود
ولهاث خطاك ،
ودبيبك في الليل المكدود
لا شيء سوى تيه ممدود
وسراك ، خلال بلاقع سود
وسدود
قامت كالموت تسد سراك
احفر ، وليجر الشوك دماك
وليمتص الصخر قواك
احفر ، احفر لا ماء هناك
لا شيء سوى الصمت الممدود
ونزيف دماك
وصداك

وتحرق عمر مفؤود
وبلاقع سود
وصحارى عمر مكدود
احفر احفر
وليسلمك لهاث ضناك
لليالي الصمت المعقود
واغسل بدماك
اطماع الوحش المسعور
واحفر واحفر مسراك صخور
ومدى يحيا فيه الديجور
وفراغ الطين المصهور
وصقيع ضياع
ابدا ، يعروك ضياع
احفر احفر
وليسلمك نبو شراع
لنبو شراع
ضاع بأصقاع الديجور
واتتضح عيناك أفاع
وصقور
وفراغ صحارى التيه
وشتاء العمر المكدود
واحفر واحفر
ما دمت تكد لتبحث عن
اصقاع الفردوس المفقود



للكاتب الساخر لوسيان

ترجمة : سعد صائب

في محاورة بعنوان « المذنب او المنبعثون » يصور لنا محاورته السابقة (١) ، وتقديمهم اياه للمحاكمة امام تجنيه عليهم ، وسخريته اللاذعة منهم ، وحطه من مرغمين الى العودة الى الارض ومحاكمته ... وقد « ديوجين » وقد ناب عن الفلاسفة في عرض الشكوى ، الاغنياء ، واستغلال الفلسفة ذاتها ، وايضاح دورهم في ومن ثم نرى « لوسيان » وقد انبرى يدافع عن نفسه ، على بيعه الفلاسفة ، مؤكدا سخريته منهم على ضوء اذ رآهم ـ من خلال تاريخهم ـ يتهالكون على المتع ، عليه وادخاره ، وهو عمل لا يليق ـ في رأيه ـ بمن والجمال ...

ونخال ان هذا المشهد المجتزأ اصدق صورة يمكننا ان اسلوبه في السخرية منهم ، وطريقته في التهكم عليهم ، وقلده فيه اغلب الكتاب الغربيين الذين اتوا بعده ، سيرد ذكره في دفاع « ديوجين » او قلد الفيلسوف المعاصر « برتراندرسل » ان « لوسيان » تتلمذ عليه ،

« لوسيان » انبعاث الفلاسفة الذين باعهم في المزاد في الفلسفة والفضيلة والجدل والحقيقة والقناعة ، شاكين قدرهم في قسوة ضاقوا بها ذرعا فلم يحتملوها فاضطروا اجتزأنا من هذه المحاورة بهذا المشهد الرائع الذي يمثل ودحض ما نسب اليهم من تهافت على المادة ، ومصانعة هداية الانسانية واغناء فكرها ، وتعميق حياتها ... ويتشدد في موقفه منهم ، مسوغا البواعث التي حملته ما عرفه من حياتهم الخاصة التي عاشوها فلم ترضه ، ويتزاحمون على الملاذ ، ويتكالبون على جمع المال والحرص تولوا قيادة الفكر ، وهداية الانسانية الى الحق والخير

نجلوها عن موقف « لوسيان » من الفلاسفة ، وعن وهو اسلوب اصطنعه « لوسيان » لنفسه فعرف به ، وان قيل انه قلد فيه اسلوب الساخر « منيب » الذي الشكاك « انسيديموس » الذي يؤكد الفيلسوف الانكليزي واخذ عنه ، ونهج نهجه في كتابته (٢) ...

سعد

ديوجين

تعلمين ولا ريب ايتها الفلسفة أي أناس كنا طوال حياتنا ، وليس ثمة حاجة للافاضة بالقول ، ولكي اتجنب الحديث عن نفسي اراني اتساءل عمن تراه يجهل كم من التعاليم المفيدة للحياة الانسانية قدمها فيثاغورس الماثل امامنا ، وافلاطون وارسطو وقريسيب وسواهم من الفلاسفة ؟ ولقد بلغني هذا الاقذاع الذي رمانا به ثلاثي پارسيادس (٣) دون ان يحترم مقامنا ، بعد ان نصب من نفسه مدافعا عما فاه به ، معلنا ذلك للقضاة منبئا اياهم ان كل ما تحدث به قد جرى فعلا ، وان

---

(١) انظر «الثقافة» العدد الثاني عشر ـ السنة الاولى

(٢) من كتاب نعده للطبع بعنوان «لوسيان ـ الكاتب الساخر»

(٣) يعني «لوسيان»

ما اكتسبه بمهارته وحذقه قد ارغمه على الخصومة واضطره اليها اضطرارا ، فراح يستجمع ما لديه ضدنا ، ولم ينقطع البتة عن رمينا بأقذع الشتائم ، ناعتا ايانا بالدجالين والمخادعين ، تلك هي نعوته التي نعتنا بها ، وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل راح يقنع الجماهير بالسخرية بنا وازدرائنا كأننا همل لا حول لنا ولا طول ، واشتط في غيه فحمل الشعوب على بغضنا ، واشرك معنا ايتها الفلسفة ، وانزل دروسك منزلة الاسفاف واللغو ، عارضا اخطر التعاليم التي تلقيناها عنك على نحو فيه سخرية لاذعة ، وتهكم مقذع ، مدعيا انه هو الذي جلب اليها مديح النظار وتقريظهم ، واننا نحن الذين حقرناها وجلبنا لها الاذى ! ..

هكذا حال الناس يعشقون السخرية ، ويحبون الاقذاع فيها بخاصة حين تستهدف قضايا تمس الافذاذ المرموقين . وليس من شك في ان هذا الضرب من السخرية كان بالامس يبعث البهجة في النفوس حين صور ارسطوفان واوبوليس في مسرحياتهما سقراط الماثل امامك ليسخرا به ، وقد اسندا اليه ادوارا رئيسية في هزلياتهما ، ومهما يكن من امر فانه هو الوحيد الذي جرؤ هذان المؤلفان على مهاجمته بهذا الشكل ، ولعل مما يشفع لهذين الديونيزيين ، ان هذا الشذوذ كان مباحا في ذاك العصر ، لان الهجاء كان يبدو جزءا من العيد وان « الاله يلهو ـ ولا ريب ـ لانه يعشق الضحك » .

* * *

اما لوسيان فقد حشر نخبة المجتمع ، وبعد ان غرق طويلا في تأملاته اصدر مجلدا ضخما أورد فيه عددا من الاكاذيب ، فهاجم في هذا اللغو افلاطون ، وفيثاغورس وارسطو ، وقريسيب الماثلين امامك ، مشهرا بهم ومنددا، حتى انا لحقني القليل مما لحقهم ، دونما جريرة ارتكبناها، او تعرضنا لشخصه بسوء . منتهجا في الواقع هذا النهج ، وان بدا لك انه ما اصطنع نهجه الا ليدفع الاذى عن نفسه ، وليثبت انه لم يكن فيما اصطنعه متجنيا قط .

ولعل مما يزيد ضرام ثورتنا عليه انه بالرغم من تصرفاته تلك ، نراه يتوارى خلف اسمك ايتها الفلسفة ، بعد ان غالط في حواره الذي استقى اسلوبه منا ، وقرننا بنفسه ، فحمل اقوالنا على غير محملها ، ولم يكتف بذلك بل انه عقد اواصر الصحبة مع مينيب وهو احد رفاقنا ، ليلعب واياه في غالب الاحايين رواياته الهزلية ، والحق اقول ان مينيب هو وحده من بيننا الذي خان قضيتنا العامة ، وهو وحده الذي زيف صحبتنا ، ولم يستطع اللحاق بنا .

وانه لمن العدل ان يتحمل جميع سوءاته ... والسؤال الذي اطرحه عليه : ماذا في مقدوره ان يجيب بعد ان افترى علينا الكذب امام العديد الجم من الشهود ، وراح يمعن تمزيقا بمن علا قدرهم في العالمين ؟ وكان حريا بأولئك الشهود ان يتولوا هم انفسهم معاقبته حتى لا يجرؤ انسان على الامعان في ازدراء الفلسفة . ولئن كنا قد لزمنا الصمت حينا وتحملنا منه تلك الاساءة فلأننا وضعنا العدالة نصب اعيننا ، لا من اجل أناس رابطي الجأش ، بل من إجل أناس أخساء حمقى ...

من تراه في الحق سيتحمل منا ما صنعه بنا اذ صيرنا في ادنى مكان ؟ لقد قادنا الى قاعة المزاد كالعبيد الارقاء ، واقام علينا مناد يبيع ـ كما نمي الينا ـ بعضنا بمبلغ ضخم ، ويبيع بعضنا الآخر بمبلغ بخس دراهم معدودات ، وباعني انا بدرهمين كي يثير علينا ضحك الحاضرين وسخريتهم .. ان اهانة كهذه قد اثارت سخطنا، وحركت غضبنا ، واعادتنا الى الحياة لنلتمس منك ان تجنبي عنا هذا العار المهلك الذي الحقه بنا .

الفلاسفة

لقد سحرنا بيانك يا ديوجين ، اذ تحدثت عنا حديثا جميلا رائعا لم تبق فيه زيادة لمستزيد .

الفلسفة

كفوا عن تهليلكم ، فقد انقضى الزمن المحدد لصاحبكم ، اما أنت يالوسيان فهلم تكلم ولا تبطيء فقد حان دورك .

لوسيان

ايتها الفلسفة : يبدو لي ان ديوجين حين اتهمني لم يبرز جميع جرائمي ، ولست ادري أي شرود ذهن تولاه فأغفل اوفر مافيها عددا واكثر ما فيها خطرا . اما ما ينسب الي فلن انكر ما سبق ان قلته ، كما لا انكر حضوري مسبقا مزودا بما يدعم حجتي سأدليه امامك في ترو وبصيرة ، بعد ان صممت على ان اضيف الى كبائرهم التي ذكرتها ، الكبائر التي مرت بصمت فلم استطع في البدء الاحتفاظ بها .

من خلال هذه الزاوية سيكون في مقدورك أن تعرفي من هم أولئك الذين بعتهم فأهنتهم ، ناعتا اياهم بالتياهين المكرة ... ولك ان تتمحصي شيئا واحدا فيما قلتـــه حقا عن قضيتهم ، فان ألفيت في اقوالي شيئا مهينا او قبيحا فلا تأخذيه علي ، أنا الذي احاول جاهدا أن أمحق الخديعة واقضي على المكر ، وانه لمن العدل - في رأيي - ان تأخذي انت حذرك من الماكرين ، اما انا فمنذ أن أحصيت المكاره التي لا مهرب منها ، والمعزوة الى مهنة المحاماة ، كالختـل ، والكـذب ، والسـفه ، والصراخ ، والازمـات النفسية التي تعتريهم ، ومن ألوف سـواهـا لا تطاق ... انني منذ ان احصيت هذا كلـه لم اجـد مناصا من انقـاذ نفسي من هذا الجحيـم ، واللواذ بحماك ايتهـا الفلسفـة ، كيما اقضي مـاتبقى لي من عمري ، مثل امرىء يبادر الى الهرب من العاصفة وهدير الامواج، ليحتمي بالمرفأ الآمـن .

وليس في وسعي ان استشف القضايا التي تهمك كي أزجي اليها واليـك اعجابي ، ولمن حولك من الفلاسـفـة أولئـك الذين مهدوا السبيـل لحياة افضل ، ومـــدوا ايديهم الى الذين جهدوا من اجل بلوغها ، ولعل نصائحهم قـد حظيت بما يفوق جمالها ويسمو على نفعها ، لـو انهم لم يزدروها ويخفوها ، ولو انهم صوبوا انظارهم الى المقاييس التي فرضتيها انت فوفقوا بينها وبين حياتهم ، وجعلوها مثالا يحتذونه كما يفعلون اليوم ، وكـان حريـا بهم ان يتأكدوا من صدقها ، ويبلوها اكثر من سـواهـم من النـــاس .

* * *

ولكننـا نرى اغلب الناس الذين أولعوا لا بالفلسفة ، بل بالشهرة التي تبتغثها بصفـة خاصة الفلسفة ذاتهـا يستسهلون الصعب ليتشبهوا بأفاضل الناس .. أعني بذلـك تلـك الامور الشائعة الميسورة التي يسهل عليهم احتذاؤها كاللحيـة ، والمشية ، والنبرة التي لا تأتلـف وحياتهم التي يحيونها ولا تتلاءم وسلوكهم الخارجي الذين يبدون فيـه ، لانهـا تنافي مـا تفعلينه انت ، وهو امر لا يليق بشرف مهنتهم .

ولكم حاولت جهدي ان اجنب نفسي الغضب والسخط عمـا صنعوه ، ولقد قارنت سفههم ومجونهم بسفـــه ومجون ممثل مأساة رعديد مخنث ، يقوم بـــدور « آشيـل » او « تيزيـه » أو « هرقـل » دون ان تكون له مشية او صوت بطل من هؤلاء الابطال ، وبالرغم مـن هذا تراه لا ينفك يغنج بتمثيلـه ويتخلع . ومـا كانـت « هيلين » بالامس ولا « پوليغزين » ليستطيعا تحمل مثل هذا الغلـو وهذا الاغراق في التشبه بهما ومحاكاتهمـا ، ولعل اقلهما صبرا « هرقل » ذاك المظفر الذائع الصيت الذي لا أخالـه الا وعجل في هلاك مقلـده وسـحقه اذ اهوى عليـه بمحجنه وخوذته بعد ان رأى ان من السبة له تنكر هذا المشعبذ بزي امرأة مؤديا دوره ...

* * *

وانك ترين ان هؤلاء القوم قـد صنعوا مثلما صنـع هذا الممثل ، ولم يكن في مقدوري الصبر على تلك المهزلة الشائنـة التي مثلتها تلك القردة اذ جرؤت فارتدت خوذ ابطال ، او قلدت حمار « سيميه » الذي ارتدى جلد اسد زاعما انـه يحاكي بحضور « السيميين » اسدا حقيقيـا لم يره قط . وراح ينهق نهيقـا اجش مفزعا ، حتى ان غريبـا اعتاد ان يرى اسودا وحمرة كثيرة لم يتمالـك حين شهـد هذا المنظر يمثل امام ناظريه حتى اهوى على الممثل يضربـه ضربا مبرحا . ولعـل مما يبدو لي اشد تعنتا ومغالاة ايتها الفلسفة ان هؤلاء القوم ما ان يـرون واحدا من امثال أولئك المرائين - الذين يمضون في تقليد الفلاسفة في خطبهم - يسند اليه دور داعر ، منـــاف للادب ، خليـع حتـى يبادروا الى الصـاق هـذا الاثـم بالفلسفـة ذاتها ، وعزوه الى الفلاسفة انفسهم : الـى قريسيب مثلا ، والى افلاطون والى فيثاغورس وسواهم ممن اجـرم فتسمى باسمها . وعلى ضوء هذا السلوك المشين يظن الناس بك شرا بعد ان يكون الزمن قد عفـى عليـك منذ زمن طويل ، ومرد ذلك كله الى انهم لايميزونه عنـك البتـة اذ يقارنونه بك ، بالرغم من انك ابعـد مـا تكونين عنه اذ لا تربطك به رابطة ، او تصلك بـه واشجة قط ، ولـكن العالم اجمع يراه وهو يأتي بأفعال منكرة مغضبـة ، تنغص العيش ، او يقوم بأعمال لاتليق زاعمـا انك ذممت لخطأ ارتكبته انت واياه فشملتكما الزراية ..

* * *

هذا مالمسته فيهم ، فلم اطق الصبر عليه ، فرحـت انزع الاقنعة عن وجوههم ، واقصيهم ما وسعني عنك ، وعوضا عن ان يجزوني خيرا على ما بذلته من جهـد ، ومـا عانيتـه من عناء فقد اغروك بتقديمي للعدالـة . أاذا كنت واقفا على خفايا اسرارهم ، عارفا بواطنها ، ثم جهرت بسر الآلهتين ، ورقصت رقصتي خارج المعبد ، ثم ثـار ثـائري فأفحمتهم واخزيتهم ستحكمين علـي بأني مـذنب ؟

انه لظلم ما بعده ظلم . ولقد درج المشرفون على الالعاب ان ينهالوا ضربا بسياطهم على أي ممثل يسند اليه دور « اثينا » او دور « پوسيدون » او « زيوس » ثم لا يحسن تمثيل هذه الآلهة ، وبالتالي يعجز عن اظهارها بالمظهر اللائق بمنزلتها وقدرها ، دون ان تفصح لهم الآلهة البتة عن سخطها وغضبها ، وما ذلك الا لانها اسلمت سياط الحراس ، أولئك الذين تقنعوا بأقنعتهم ، ولبسوا لبوسهم ، بل اني مقتنع بخلاف ذلك اذ ارى ان الآلهة تغتبط لمرأى أولئك الممثلين،وهم يجلدون. وليس من شك في ان الاخفاق في اجادة تمثيل دور صانع او ساع خطأ ضئيل الخطر ، اما تمثيل دور « زيوس » او « هرقل » وفيه امتهان لهما ، واستخفاف بهما على مشهد من النظارة فأمر فيه خرق للمقدسات فاضح ومعيب معا ...

* * *

وثمة امر اشد هولا مما ذكرت ، وهو ان اكثر هؤلاء الفلاسفة بالرغم من انهم يعون وعيا صادقا تعاليمك ، غير انهم يقضون حياتهم وكأنهم ما اطلعوا عليها ، ولا تعمقوا فيها ، ولا سبروا غورها الا ليخالفوها ويعملوا عكسها ، ودليلي ان كل ما فاضوا به ، او رددوه مثلا في تعاليمهم لايعدو ازجاء النصح الى الناس كي يحتقروا الغنى،ويعرضوا عن المجد ، ولم ارهم قط يبشرون بأن من الخير لمن كان فاضلا ان يتجنب الغضب وينأى عن الغيظ ، والا يستخف بالعظماء ، وعليه ان يحادثهم وكأنه صنو لهم ...

تلك هي — ايتها الآلهة — المبادىء السليمة الحكيمة الجديرة حقا بالاعجاب ، غير ان هؤلاء الفلاسفة قد تقاضوا اجرا على تعليمهم ، بعد اذ اذهلتهم رؤية الاغنياء ، واصابهم عي حيال المال ، فكانوا لهذا وذاك اشد غضبا من جراء الكلاب ، واجبن من الارانب ، واشد مصانعة من القردة ، واعنف شبقا من الحمر ، وابرع في السلب والنهب من القطط ، واعند من الديكة في الخصومة ، ومع هذا كله نراهم حين ينقضون على المتع يصطنعون الضحك ، ويتدافعون بالمناكب امام ابواب الاغنياء باحثين عن الولائم المكتظة بالمدعوين ليتملقوهم ويداهنوهم دونما حياء او خجل ، فتتخم بطونهم بما لذ من المآكل وطاب ، متخطين بصنيعهم هذا آداب الولائم . وهم مع شعورهم بحقارة انفسهم ، وشكواهم منها ، نلقاهم يتفلسفون وسط دنان الخمر بشكل منفر لا يصدق ، ثم ينتهون آخر الامر وفيهم ظمأ لا يرتوي الى الخمر المعتقة التي عبوا منها . ولا اخال ان جميع الحاضرين ممن نادموهم تربطهم بما تحدثوا اليهم فيه رابطة ، او تصلهم به صلة ، او انهم افادوا مما قالوه شيئا ، بل مضوا يلعنون الفلسفة على ملأ من الناس ، تلك الفلسفة التي غذت امثال أولئك الرعاع .

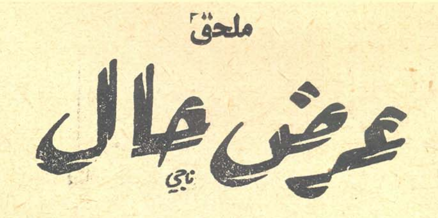
* * *

ولعل في منتهى العار ان يدعي كل فرد من أولئك الفلاسفة انه عزوف عن كل شيء ، معرض عنه ، يمضي هاتفا ان الحكيم وحده هو الغني ، ثم نلقاه بعد هنيهة يأتي مستجديا ، وربما غضب او ثار ان لم يعط شيئا ، فكأنه بهذا يشبه رجلا يرتدي رداء ملك ، ويضع على رأسه تاجا حقيقيا ، ويتولى ملكا وسوى ذلك مما تشتهر به المملكة ، ثم يجيء ملتمسا الاحسان ممن هم اشد منه عسرا ، افلا يعني ان هذا لديهم هو ضرب من توزيع المال الذي لا يأتلون يرددن دوما بضرورة جعل المرء مستغندا له زاعمين ان الغنى شيء مختلف عنه ، متسائلين عن المعنى الذي نضفيه على الذهب والفضة ، وهما في زعمهم شيئان يشبهان تمام الشبه حصى الشاطىء . حتى اذا ما جاءهم صاحب قديم او صديق اضطر للاستعانة بهم ، وطلب اليهم ان يوزعوا ما بحوزتهم من مال ، لايلقى منهم الا الصمت المطبق ، والا الاعراض والتجاهل ، والا الحسرة التي تتنافى ومبادئهم ، والا الخطب التي يلقونها حول الصداقة والفضيلة والشرف وليس لها وجود ، والا الالفاظ المجنحة التي يستنفدون في تنميقها جل ايامهم ، والتي تضيع هباء في بحران جدلهم العقيم الذي لا طائل تحته ....

* * *

ألا ان صداقتهم تبقى ما داموا لا يسألون عن الذهب والفضة ، ولكن ما ان يرون درهما يطرح حتى يزول السلام ويعم الخصام بينهم ، فلا تهادن ، ولا نذير ، ولا كتب وعندها تولي الفضيلة الادبار . وهو حال شبيه بما يجري لدى الكلاب فما ان نلقي بينهم عظما حتى نراهم يقفزون ، ويتناهشون ، وينبحون ضد من تسول له نفسه منهم ان يلقمها قبلهم . يحكى ان ملكا من ملوك مصر درب قديما قردة على الرقص ، وان هذه الحيوانات وهي اجدر من يقلد افعال الناس ، قد تعلمت توا ورقصت بعد ان تزينت بالارجوان ، ووضعت على رؤوسها الخوذ ، وظل منظرها معروفا امدا طويلا ، حتى جاء يوم

ملحق



بقلم : محمد حيدر

- الملحق الاول -

من : ع - ع - ع

الى الاجيال المقبلة

الموضوع - تربوي (طلب انتقال من درعا الى دمشق)

كنا نشرنا في مجلة « الثقافة » منذ شهور ، عروضا للحال . ثم توقفنا فترة عن النشر ، لنرى صدى هذه العروض . وقد تبين لنا انها لقيت ترحيبا زائدا من مختلف القراء - حتى ان زميلة لنا ، وكانت لاتهتم بشخصنا ايام الجامعة ، رأيناها صدفة في « عرض » الطريق .. فدهشنا اذ وجدناها تقترب منا (خفنا ان يكون غيرنا المقصود ، فتنحينا عن الطريق !) وتنادينا باسمنا المعروف ولما تأكدنا من الامر ، سلمنا عليها - بحرارة طبعا ! .. - وقد فوجئنا بها تبتسم لنا .. ومن ثم اخذت تمتدح عروض الاحوال كافة ، وخاصة « عرضنا » التربوي الاخير !!

ولكن هذا لا يعني ان جميع القراء شعروا نحونا بنفس الشعور . ذلك ان بعضهم رد علينا في الصحف ، وعندما سمعنا .. سررنا جدا ، وقلنا - لنفسنا طبعا - بأننا سنفيد حتما من النقد ، فنعمد في عروضنا المقبلة الى تلافي النقص واستدراك الخطأ ! ولكن عندما قرأنا الردود .. لا نعلم لماذا خطر ببالنا الشاعر العربي « المتنبي » ... فترحمنا عليه ! ..

وبالنظر للترحيب المتزايد الذي قوبل به شخصنا ، وقوبلت العروض ، فقد قررنا متابعة النشر . واننا نغتنم هذه المناسبة لنتوجه بعميق الشكر الى مجلة الثقافة التي ساعدتنا على نشر عروضنا السابقة ، ونشر « عرضنا » الحالي ! ...

وقد تبين لنا خلال فترة التوقف ، ان بعض الموضوعات يحتاج الى اكثر من « عرض حال » واحد ، كما ان قضايا جديدة ، طارئة ، تحدث بعد كتابة العرض ونشره . ولذلك قررنا ، استكمالا للفائدة ، انشاء « ملاحق » لعروض الحال .

* * *

لقد نشرنا سابقا « عرض حال » برقم - ٢ - وتقدمنا فيه باقتراحات وملاحظات تربوية الى المسؤولين . وكان من بين هذه الاقتراحات ، اقتراح بنقل المدرسين كل عام ، من مدينة الى اخرى ، لما لهذا الامر من فوائد تربوية ، وتاريخية ، وجغرافية ... وبما ان السنة الدراسية الحالية قد انتهت ، والعام الدراسي الجديد على الابواب - لانقصد بابا معينا .. او الابواب المعروفة ، مجرد اصلاح - فمن الطبيعي ان تعمد وزارة التربية الى اجراء مناقلات عامة بين المدرسين - لذلك نغتنم الفرصة لنذكر الوزارة باقتراحاتنا السابقة ، ولنتقدم بدورنا بطلب انتقال .

ومن المعروف اننا نكتب لكم نيابة عن : عصويص بن عكرمة العضروطي - او : ع - ع - ع . الذي اخذنا على عاتقنا مهمة التعريف به ونقل شئونه ونشرها بين الناس . وقد رغب الينا هذا العام بكتابة طلب للانتقال ، ولكننا رفضنا بادي الامر ، وحسبنا انه يضمر لشخصنا السوء ! والا كيف يمكن لاستاذ كبير ويحمل الشهادات الجامعية - يحمل شخصنا شهادات لا تحصى .. شهادة من احد اصدقائنا بطيبة القلب .. شهادة من صديق آخر بالاستغلال وسوء النية .. براءة ذمة ، حسن سلوك ، شهادة ولادة من دوائر النفوس .. فقر حال ... - كيف يمكن له ان يحمل هذه الشهادات ، ولا يستطيع كتابة طلب انتقال ؟! وعندما صارحناه برفضنا ، طمأننا الى النتائج ، وافهمنا - بصورة سرية بين شخصنا وبينه - ان كثيرا من زملائه لا يملكون من الشهادات سوى الاسم .. وعلى الورق فقط ! .. وبالتالي فهم لا يستطيعون كتابة مثل هذه الطلبات ، لان الامر يحتاج الى خبرة طويلة .. ولذا لجأ الينا باعتبارنا كاتبا لعروض الحال .

(وقد اشعرنا هذا الاكتشاف المفاجيء لمواهبنا الكامنة ، بشيء من الغرور .. ففكرنا بكتابة طلب لتعييننا معلما اسوة ببقية المعلمين ! ولكن عندما نظرنا الى وضعه البائس وقارنا بينه وبيننا .. تبين لنا ان القضية خاسرة ، وان وضعنا افضل منه بكثير ، لذلك عدلنا عن الطلب ، وقنعنا من الغنيمة بعرض حال ! ..)

اخذتنا الشفقة عليه .. فقبلنا .

وكنا نرغب في كتابة طلب انتقال رسمي ، ولكن تبين لنا ان هناك بعض الامور الشخصية ، ولما كان من غير المألوف ان نذكر « الاسباب الشخصية » في طلب رسمي ، لذلك وجدنا من الافضل ان نكتب له « عرض حال » .

* * *

جلس امامنا ع - ع - ع ، فأخذنا ورقة وقلما .. وبدأنا نكتب

لنا في درعا خمس سنوات .. — رفعنا اليه بصرنا مدهوشين ! .. — والعلاقات طيبة بيننا وبين الناس ، حتى لنود ان نبقى فيها سنوات اخرى ، او نقضي بقية العمر . رغم ذلك ، فليس من المعقول ان نقضي بقية عمرنا في بلد وحيد ! لان هذا الامر ، عدا تعارضه مع مصلحتنا الشخصية ، فانه يتناقض مع سياسة الدولة القائمة على تنمية وعي المواطنين ، وتعريفهم ببلادهم ، خاصة واننا الآن في ظل جمهورية عربية واحدة ، الامر الذي يستلزم انشاء تبادل واسع النطاق بين الافراد . ولما كان من غير الممكن ، حاليا ، المطالبة بنقلنا الى القاهرة مثلا .. — مع اننا نود ذلك — فاننا من قبيل التواضع نكتفي بدمشق .

وبالاضافة للاسباب العامة الآنفة الذكر ، فهناك الاسباب الشخصية التي تجعل من نقلنا — طبعا الى دمشق — امرا ضروريا الى ابعد الحدود .

فقد تبين لنا ، خلال بقائنا في درعا هذه السنوات ، ان الطلبة بدأوا يشعرون من شخصنا بالسأم ، حتى ان اغلبهم اصبح ينام خلال الدرس — اعترتنا نوبة من التثاؤب .. فبدأنا نتثاءب ، وقابلنا ع — ع — ع بتثاؤب متكرر .. وتثاءبنا ايضا ، حتى كدنا نم ! .. —

ايقظنا ع — ع — ع بقوله : اصبحوا ينامون خلال الدرس ، مما يتعارض مع كرامتنا كمدرس . ولما كنا لا نحب القيام بعمل تأديبي ، فقد آثرنا السكوت ، لان العقاب ، عدا كونه عملا يتنافى وقواعد التربية ، فاننا لا نستطيع القيام به ، نظرا لطبيعتنا المسالمة .. ولتقدمنا في السن ، الامر الذي يجعلنا عاجزين تماما عن حفظ النظام في الصف .

وقد فعلنا ذلك عملا بالحكمة القائلة : « العاقل من اتعظ بغيره » لان بعض المدرسين الذين لجأوا للعقاب اصبحوا — كما سمعنا — اضحوكة الطلبة .. فأطلقوا على بعضهم القابا سيئة ، ورسموا بعضهم على اللوح بهيئة الحيوانات ! .. وبعض آخر ، كانوا يطرطقون له على المقاعد .. حتى اوشك احد المعلمين ان يصاب باختلال عقلي من جراء ذلك ، لولا ان تدارك شخصنا الامر بحكمته ، فاقنع الطلبة بعدم الطرطقة والضجيج ! ...

ان تقدمنا المذكور في العمر ، جعل من العسير علينا تحمل صعوبة العيش حيث نحن الآن ، وذلك لفقدان كثير من الوسائل الضرورية المتعلقة بالمعيشة — ومن البديهي ان الوسائل الكمالية ، او ادوات الترف .. غير موجودة على الاطلاق ! ..

وعلى ذكر التقدم في العمر ، فقد قرأنا في المجلات العلمية ان مشكلة الهرم لم تعد مشكلة على الاطلاق ! لان التقدم الحضاري استطاع ان يطيل العمر ويجدد الشباب عن طريق حقن الانسان بالسوائل الكيماوية او تطعيمه بغدد القرود ! .. ولكن هذه الاكتشافات التي اعتبرت في حينها جديدة ، اصبحت الآن من المخلفات . لان التقدم العلمي الجديد .. وهو تقدم سريع الى ابعد الحدود ، يحاول الآن — وقد نجحت بعض المحاولات — ان يصنع انسانا جديدا من الآلات ، لايمت بصلة لانساننا المعهود ! ..

(تخيلنا ذلك الانسان .. فقالت لنا نفسنا : هل يستطيع الانسان الآلي الجديد ، ان يصنع انسانا امثيله ؟ قلنا لها : من المستحيل ذلك ! وعندما اردنا ان نقطع تخيلنا لنعاود الكتابة .. فاجأتنا نفسنا بسؤال جديد : هل ستكون للانسان الآلي كافة وظائف الانسان الحقيقي ؟ قلنا لها : بالتأكيد سيحصل ذلك . ردت علينا بدهشة : هل سيكون ياترى قادرا على الانسال ؟ ظهرت على شخصنا علائم التفكير والحيرة ... وتخيلنا الانسان الآلي على مختلف الوجوه .. فلم نعثر على وسيلة يتمكن بها من الانسال ! قلنا لها : لن يتمكن ، قطعا ، من القيام بهذه الوظيفة . قالت لنا بارتياح : معنى ذلك ان البشر الآليين سيظلون بحاجة الى الانسان الحقيقي .)

نعتذر لكم عن شرودنا الانساني .. وسنعود الى موضوعنا الاصلي :

ان شعور السأم عند الطلبة ، ليس ناشئا عن نقص في شخصنا ، فنحن مدرس ناجح كما يقال . ولكن التكرار ، كما تقول قوانين علم النفس ، يؤدي الى هذه الحال . وعلى هذا الاساس ، اذا كان شخصنا ناجحا بالفعل ، فليس من العدالة في شيء ان يستأثر بعبقريتنا بلد وحيد ! بل يجب ان نوزع بالتساوي على كافة المدن .. حسب قواعد العدالة . اما اذا كنا سيئين — وهذا ما نرجحه .. فمن الضروري اذن ان ينظر بعين الرحمة والاعتبار ، الى درعا التي تحملت سوءنا خمس سنوات .. وان يعمد بالتالي الى ازالة السوء عنها بنقلنا الى دمشق ، باعتبارها مدينة ضخمة تتحمل سوءنا بسهولة تامة .

وبالمناسبة ، فقد بلغنا ان الطلبة يفكرون برفع عرائض ضدنا الى المسؤولين ..

(شعرنا بالخوف لدى سماعنا النبأ .. وذكرنا فجأة حادثة المعلم الذي اعتدى عليه الطلبة منذ سنتين ! .. كنا في الصف عندما سمعنا لغطا من الغرفة المجاورة .. قلنا انه امر طبيعي .. فلم نعره اي اهتمام . ولكننا

سمعنا ضجيجا واصواتا عالية بعد لحظات ! فخرجنا نتبين الامر . وجدنا الطلبة يحيطون بالمعلم .. وراقنا المشهد فوقفنا نتفرج : « نكزه » طالب .. وضربه على وجهه آخر .. فقال المعلم : بلا مزح يا شباب — ضحك الطلبة .. ولبطه احدهم ، وعندما استدار صفعه آخر . « قلنا لنفسنا : آخ .. » وفي هذه اللحظة امسكه طالب بشعره وشرع يجرجره . « اقسمنا ان نقص شعرنا منذ ذلك اليوم » . واخيرا امسكوه بيديه ورجليه وبدأوايؤرجحونه وهو يصرخ ويستغيث : دخيل .. يا شباب ! بعرضكم يا جماعة ! ..

ورغم ان الخوف يعتبر صفة رئيسية فينا ، وفضيلة من فضائل شخصنا ، فقد اخذنا الحماس .. فهجمنا .. تناول احدهم يدنا ، فلواها — صرخنا من الالم — ثم وضع يده في ظهرنا ، ودفشنا .. فخرجنا لانلوي على شيء ! .. وقد ظللنا عدة ايام مريضين من الرعب ، كما ان هذا الحادث المشؤوم ، بقي يعاودنا في المنام اشهرا طويلة !)

نرجع الى موضوعنا الاصلي :

ان العرائض المذكورة قد تنقلب الى تهديد — فاذا لم تستجب وزارة التربية لطلبنا ، فاننا نتقدم برجائنا الى قوى الامن ، باعتبارها المسؤولة عن سلامة الافراد ، لحمايتنا من الاعتداء .. او السماح لنا بحمل السلاح المدفاع عن النفس ، تجنبا لوقوع حادث مماثل لما وقع لزميلنا المذكور .

وبالاضافة لكل ماذكرناه ، فان سمعتنا المالية (شخصنا مبذر) قد ساءت الى حد كبير ، بحيث اصبح الدائنون يلاحقوننا الى المدرسة وفي الطرقات .. ويطرقون بابنا كل يوم . حتى اصبحنا في حال لا نستطيع فيه تأمين لوازم المعيشة الا بصعوبة زائدة . الامر الذي خفف من احترام الناس لنا ، واوقعنا في سوء التغذية .. التي ادت لاصابتنا بهزال شديد . — تذكرنا كرشنا السابق .. فتحسرنا على المرحوم ! .. — ولذا فان « نقلنا » اصبح ضروريا الى ابعد الحدود ، لانه ينقذنا من الحاح الدائنين ويجنبنا نظرات السخرية على الاقل .

وهذا لا يعني اننا لم نقم سابقا بمجهودات للانتقال ! .. فقد تقدمنا في الماضي بعدة طلبات رسمية ، واتبعناها ببعض المساعي الشخصية .. الى حد ارقنا ماء وجهنا — طبعا لا يوجد في وجهنا ماء — فحصلنا على وعود قيل لنا بأنها « قاطعة » ولكن النتيجة كانت ، دائما ، لا شيء ! ..

وقد دهشنا اول الامر ، لعلمنا بأن كثيرا من زملائنا نقوا الى الاماكن التي يريدون .. بينما ظل شخصنا يراوح في مكانه رغم كافة الجهود . ولكن السر في ذلك ، انكشف لنا بعد كثير من البحث والتدقيق . فقد تبين لنا أن الزملاء المذكورين ، كانوا يملكون « حجر الفلاسفة » القديم .. الذي يحول كل المعادن الى ذهب .. فقد كانت جهودنا تضيع في الهواء .

لان من أسس « الوساطة » ان نكون منتمين الى احد الاحزاب ! .. فاذا كنا لم نفعل .. فليس ذلك لنقص في شعورنا الوطني ، ولكن لان اسمنا الملعون : عصويص افندي .. كان يمنعنا — خوف اتساع الفضيحة — من الاشتراك في أي نشاط اجتماعي عام . وعندما كنا نتقدم بطلب للمساهمة في أي نشاط من هذا القبيل .. كنا نقابل بالترحيب ، ولكن ما ان يطلعوا على اسمنا ، حتى نفاجأ بتغييرات عجيبة تطرأ على الوجوه ، ونصرف بصورة مهذبة .. واحيانا بشيء من القرف الواضح ! .. لذلك يئسنا من الانتقال ، وعدلنا نهائيا عن بذل أي مجهود بهذا الشأن .

بقينا قانعين من الغنيمة بالاياب .. الى ان اراد الله لنا الوحدة ، في جمهورية عربية موحدة .. فقضت على الحزبيات والوساطات ، واصبحت كفاءة الشخص ، هي التي تؤخذ بعين الاعتبار . وهكذا اصبح الآن لنا كبير الامل في الانتقال .

وبالمناسبة ، فقد خسرنا بعض الاصدقاء خلال محاولاتنا السابقة ، ذلك ان نفرا من اصدقائنا ، يشاء لهم حسن الحظ — حظهم طبعا — ان يجلسوا في امكنة بارزة يستطيعون بفضلها ان يقدموا لنا بعض المساعدات . وعندما ذهبنا اليهم ، حسبنا — لغفلة فينا — اننا سنكون موضع الحفاوة والتقدير .. وأنهم — في اسوأ الاحوال — سيعطوننا ، على الاقل ، وعودا — طبعا كاذبة — . ولكن الذي حصل ان كثيرا منهم رفض ان يرانا متعللا بكثرة الاعمال .. في حين اننا كنا على يقين بأنهم كانوا بلا عمل على الاطلاق . الامر الذي اشعرنا بالندم على حسن نيتنا ، ودعانا الى اعادة النظر في مفهوم الصداقة ، وفي أسس اختيار الاصدقاء .

سنعود الى موضوعنا الاصلي :

ان كفاءات الفرد في ظل جمهوريتنا العربية ، هي التي ينظر اليها الآن . وبما ان شخصنا يتمتع بكثير من الكفاءات والمواهب — النادرة طبعا .. — فلا بد اذن وان نحظى باهتمام المسؤولين . كما وان الدولة تشجع الآن الادب ،

البقية على الصفحة « ٥٠ »

قديم ...

نحمي حقيقتنا



يا ذا المخوفنا بقتل أبيه اذلالا وحينا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا
هلا على حجر ابن أم قطام تبكي لا علينا
انا اذا عض الثقاف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا
هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا
أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا

عبيد بن الابرص الاسدي

... وجديد

يافائت الايام



أحمامة تبكي على الصيف المودع أم علينا
كنا الملوك على الشباب وكانت الدنيا لدينا
كنا الغصون الخضر في كف الملاحة والتوينا
انا بنينا للشباب ولم يدم ما قد بنينا
يا فائت الايام تسألك المدامع أين أينا !

امين نخله



مُناقشَات

السلوك العقائدي والقضية العربية

بقلم : غسان كنفاني

النموذج الحزبي الذي وجد نفسه ، فجأة ، يحمل مصير القضية العربية لم يستطع ان يصل الى المستوى اللائق لهذه القضية على الاطلاق ..

واذا حاولنا ان نبدأ الموضوع من اوله توجب علينا ان نلاحظ ان ثلاثة نماذج حزبية كانت في الساحة ، وان هذه النماذج الثلاثة كانت تفهم القضية من وجهات نظر ثلاثة مختلفة ، وانها كانت ، تبعا لهذه النظرات تنتهج وسائل متباينة ، هي التي سوف ندعوها – بصورة عامة – مسلكها العقائدي :

١ – نموذج الحزبي الذي يرتبط بنظرة عقائدية كلية ترسم له كافة تفاصيل سلوكه .

٢ – نموذج الحزبي الذي لا يرتبط بنظرة كلية والذي – تبعا لذلك – ليس مسؤولا في سلوكه امام النظرية بل امام التنظيم .

٣ – نموذج الحزبي الغوغائي الذي ينحصر ارتباطه بمجرد اتباعه اسم زعيم حزبه بلفظة (بك) ، وتحدثه ، في المقهى ، عن مدى علاقته «بالزعيم» وهذا شيء يرضي غروره بصورة من الصور .

في هذا المقال سوف نتخطى هذا النموذج الاخير ذلك لان دوره على المسرح كان قصيرا جدا ، ولانه لم يستطع قط ان يؤثر في مجرى الامور الا بمقدار ما سار مع التيار

* * *

لا ندري هل هو شيء يثير العجب حقا ان يكون الحزبيون الذين يمثلون النظرية الكاملة في الوطن العربي ينقسمون الى قسمين يقف كل منهما على أقصى الطرف المقابل لطرف الآخر .. فلقد كان ثمة ، حزبيون ماركسيون ورثوا النظرية عن القرن التاسع عشر وسد ثقوب الاهتراء فيها قوة التنظيم المستمد من اشراف دولة عظمى ...

وكان هناك ، ايضا ، حزبيون دينيون لم يستطيعوا ان يعمقوا فهمهم للدين ويطوروا هذا الفهم ليتطابق مع حقيقة القرن العشرين ، بل ارادوا بكل اصرار ، ان يعودوا بالقرن العشرين الى الفهم العادي ، والاولى ، للدين . وبغض النظر عن المنطلقين المتناقضين لكلا الفلسفتين فاننا نلاحظ ان الخطأ – من حيث العمل الحزبي – كان واحدا ، وهو الانغلاق التام ورفض التفاعل مع عاملي الزمن والمكان ...

لقد رفض الحزبيون الماركسيون فهم طبيعة المجتمع العربي ... ورفضوا ان يعترفوا بأية « تقدمية » تفوق « تقدميتهم » ومن هنا نبع الخطأ الذي تطور الى خيانة ، لقد رفضوا ان يطوروا النظرية من اجل ان تناسب المجتمع بكل خصائصه ، وارادوا ان يغيروا المجتمع من اجل الحفاظ على قدسية النظرية ... وكانت وسيلتهم في هذا التغيير شيئا طارئا على هذا المجتمع لا يمت الى الاصالة بصلة ...

اما الحزبيون الدينيون فلقد ارادوا ، بكل صوفية واخلاص ، ان يكرروا الزمن ... كان حلم استعادة مناظر القصص التاريخية يستهويهم وكانوا يرفضون الزمن من اجل ان يستمتعوا باجتهادات الاقدمين ، ولا يحاولوا ان ينتشلوا الوضع الخاطيء من جديد ...

الا ان الذي يهمنا الآن هو النموذج الحزبي الذي كان يمثل اداة التطبيق ... لقد كانت النظرة الكلية هي الضابط الاول للمسلك العقائدي – الفكري والخلقي – وكان على هذا النموذج ان يحقق اقصى ما يمكن من التطابق مع هذه النظرية من اجل ان يرتفع في التنظيم ... **وكان تطابقه مع النظرية ، او بالاحرى ، تجسيده لها هو الميزان الحقيقي لتطوره الحزبي ...**

لقد كانت النظرية ، اذن ، الاطار الذي ينمو داخله النموذج ... وبغض النظر عما يؤدي اليه هذا الاطار من انغلاق فانه قد نجح ، الى حد بعيد ، في ان يحقق **الضبط العقائدي** اللازم للعمل الحزبي الجدي ...

اننا لن ننسى ، ايضا ، ان النظرية قد ساعدت التنظيم ليصل الى المستوى الناضج .. وهكذا فلقد ووجهنا ، طوال السنوات الماضية ، بتنظيم بارع ، وبنظرية كاملة... ولن نستطيع ان ندعي بأن بطولتنا وحدها هي التي جنبتنا مهاوي الانزلاق في براثن الخطر ... لقد لعبت الصدفة ايضا ...

امام هذه النماذج ، كان هنالك النموذج القومي ... ومثلته احزاب قليلة .. كانت تعوزها النظرية الكاملة .. ولكنها لم تحاول ان تتفادى الميوعة التي يمكن ان تنتج عن فقدان النظرية بأن تهتم قليلا في التنظيم ... بل تركت الحبل على الغارب .. وادى هذا الترك الى تأزم المعركة العربية تأزما حادا ... فلقد فشل هذا النموذج في ان يصل الى المستوى المطلوب لمواجهة كل الاخطار المحدقة ، **وعجز عن ان يمثل دور المنقذ الطليعي الذي ادعاه لنفسه.. وكانت المعارك القليلة التي خاضها مفروضة بالصدفة ،** لم يغير من تكتيكها او استراتيجيتها أي فهم منطقي او أي تفكير مخطط ...

ولكن قضية الفشل هذا ليست قضية فقدان النظرية كما يلوح من كلام المدافعين ، ففي الحقيقة ان معركة البحث عن نظرية لا تقل شرفا ابدا او خطورة عن المعركة في داخل النظرية ... لقد كان من المفروض ان يحل التنظيم مشكلة «الميوعة الفكرية» ان جاز التعبير ... وفي التواريخ الحزبية شواهد كثيرة على ان التنظيم استطاع ان يدفع بجزء من الاعضاء الى تكوين جهاز فكري يؤدي مهمته ، ويتطور مع الزمن في داخل الخطوط الاساسية العريضة لتفكير الحزب .

لقد اهمل التنظيم اهمالا يكاد يكون تافها في الاحزاب التي حملت ، او حملت نفسها ، رسالة عظيمة ... وبعد سنوات قليلة استطعنا ان نشاهد مدى الصدوع التي ادى اليها التفكك التنظيمي .. واصبح هذا النموذج يحتوي على اخطاء :

أ – اختلفت مناهج التفكير بصورة لا تتناسب مع عمر الحزب .

ب – فشل النموذج في ان يجسد اخلاق الطليعة .

ج – عجز النموذج عن ان يرتقي الى مستوى النقد الذاتي .

د – تفككت جهود الحزبيين في بناء جزء من النظرية على الاقل .

هـ – اهترأت – تبعا لذلك – طرق التخطيط وحدث التصدع الذي لا يستطيع ان يواجه الازمة .

ورغم ذلك فقد استمرت هذه الاحزاب في الاتساع لا لسبب منطقي الا لان الناس كانوا يجدون في الشعارات اجزاء من احلامهم السعيدة ... وكانوا يريدون تحقيقها بكل استطاعتهم ، ولكن كيف ؟

هذا الاتساع ، غير المبني على قدرة الامتصاص في تنظيم الحزب ، كان يزيد في الازمة الداخلية للتنظيم... وكانت أزمة التنظيم هذه تزيد في ازمة التفكير ... وبين فكي الكماشة كان النموذج الحزبي ، الذي كان من المفروض ان يجسد الطليعة ويقدم صورة المستقبل ، كان هذا النموذج يذبل ، وينكمش ، ويتناقض ، وفي نفس الوقت كان انفه يرتفع اكثر فأكثر .

لقد حل « الغرور » و « القناعة » مكان الاستجابة للتطور ... وادت هذه القناعة الى كل التناقضات الممكنة داخل حزب ما ... ويوما بعد يوم بدأت مناهج التفكير ، غير المرتبطة بتنظيم معين – تتباعد وتختلف ، ونشأت « المدارس الفكرية » داخل الحزب الواحد كدليل على عدم الارتباط التنظيمي العقائدي اكثر منها دليلا على قابلية التفكير ، اما النكتة التي قيلت في يوم ما عن ان كثرة المدارس في داخل حزب كذا هو اجراء لمكافحة الامية بين الاعضاء .. اما هذه النكتة فلقد كانت وجهة نظر اخرى فحسب .

ولكن التنظيم الفاشل لم يؤد فقط الى عدم الاهتمام في بناء خط فكري معين .. بل ادى ، ايضا ، الى فشل محزن في فهم المواقف السياسية والنضال في الازمات : ان حزبا ما في وقت السلم والطمأنينة كان شعارا جريئا فحسب ، اما وقت الازمة فلم يكن له اي وجود على الاطلاق ذلك ان ضياع التكوين العقائدي المتكامل مع التنظيم ادى الى :

– فشل القيادة في الاستجابة لرغبة القاعدة وعجز القاعدة عن فهم القيادة .

٢ ـ انعدام ارتقاء النماذج لجمود التيارات داخل التكوين الحزبي .

٣ ـ فشل القاعدة في فهم طبيعة « الجو » الشعبي بسبب انفصالها عن ارشادات التنظيم .

٤ ـ اضطراب النموذج في الازمة بسبب اضطراب الارتباط .

والنموذج هذا لم يكن فاشلا في عمله السياسي والفكري فحسب بل لقد عجز عن الوصول للمستوى الاخلاقي المطلوب للمناضل ... ان من الطبيعي ان يقدم لنا حزب طليعي نموذجه على انه الانسان الذي يناضل من اجل ايجاده في المستقبل ، وهكذا فان عملية التجسيد التي يجب ان يقوم بها النموذج هي الوجه التطبيقي لفهمه للعقيدة وارتباطه بمثلها ... ولكن الحزبيين الذين قدمتهم لنا احزابنا ـ مع الاسف ـ كانوا اسوأ النماذج الاخلاقية ، ولم يستطيعوا قط ـ بصورة عامة ـ ان ينخلعوا عن التفاهات التي يغرق فيها الشباب العادي : المترسب بعد سنوات طويلة من النوم والصمت والكسل ...

الموقف الحزبي بايجاز كان كما يلي :

الاحزاب التي انتهجت الفلسفة الكلية نجحت في خلق نموذجها حيث فشلت في الانفتاح على المجتمع وفهمه بصورة جيدة .. اما الاحزاب التي حاولت ان تحمل رسالة القضية العربية الاصيلة فانها فشلت في تقديم النموذج الملائم ...

* * *

هل يفهم من هذا الكلام ان حزبا ما يجب ان يبحث عن فلسفة متكاملة كي ينجح ؟ .. وبكلمة اخرى هل النظرية ضرورة لامكانية العمل ؟ ..

في الحقيقة ان الافكار المعلبة ، كالاغذية المعلبة ، ليست صحية على الاطلاق ... ولكن وجود الاساس المنهجي لتفكير جماعة ما امر ضروري ... اننا لانستطيع ان نتصور حزبا ما لا ينضوي افراده تحت خط عريض واحد ... ولكن اشتراك الافراد ـ بواسطة التنظيم ـ في تطوير التفاصيل ومحاولة جعلها متكاملة يضمن لنا « عدم الانغلاق »

غير ان مناقشة « النظرية » او « اللانظرية » امر يختلف عما نريده هنا ... الذي يهمنا ان « وحدة تفكير » الحزب امر يختلف عن النظرية الكلية ... خاصة اذا كانت الازمة السياسية في احد مراحلها ...

لقد كانت محاولة ايجاد النهج الخاص للتفكير القومي العربي اهم ما يجب على احزابنا القومية ان تقدم في المجال الفكري ... وكان هذا الايجاد ضرورة من اجل فلسفة كاملة ـ للذين ارادوا هذه الفلسفة ـ ولكن ترك هذا الجانب كان خطأ آخر لا يغتفر ...

* * *

علينا ان نعترف بأن القضية العربية ، بمعظم تفاصيلها ـ قد لعبت فيها الصدفة ، والحظ ، دورا اعظم بكثير من دور الاحزاب ...

ولن يجدينا الغرور شيئا على الاطلاق ، وعلينا ان نعترف بكل اخطائنا ... ولكن الاعتراف سوف لن يفوت علينا فرصة تقدير الاعمال العظيمة التي قامت بها بعض الحركات الجديدة في امكنة متفرقة من الوطن العربي ... وما يمكن لها ان تقوم به في اماكن اخرى ... كما اننا لا نستطيع ان نتجاهل الدرس الذي علمه فشل الاحزاب السابقة لهذه الحركات الجديدة ...

ان الانسان العقائدي العربي ما زال ينمو ، ونحن نعتمد على هذا النمو كوسيلة فعالة للوقوف في وجه أية عقيدة دخيلة تشوه اصالة الحضارة العربية ... وهذا الاعتماد لن يكون انتظارا صامتا ، بل نضالا واختصارا للزمن ... اما النموذج الذي سوف يعمل من اجل تلك اللحظة فهو التخطي الثوري لميوعة النماذج الفاشلة ...

لن يعتبر هذا المقال نوعا من الطعن في قدرات شعبنا العظيم ... هذا الشعب الذي اثبت ان « الطليعة » لم تكن تتقدمه بل كانت تسير معه ... ولكن الطعن يجب ان يعتبر موجها الى الاحزاب التي فشلت في فهم هذه القدرات والتي عجزت عن حشدها والافادة منها .. اما النموذج المثالي للانسان العقائدي العربي فهو موجود بوفرة ولكنه يحتاج لصقل وتوجيه ..

ارجو او ان هذه الحقيقة لا تسيء الى الحزبيين الذين ظلوا طويلا يضحون بها في سبيل الطمأنينة السطحية ...

غسان كنفاني ـ دمشق



خطوط والوان

الحركة الفنية في الاقليم الشمالي

ترتبط الحركة الفنية في امة ما ارتباطا وثيقا بمجرى التطور النفسي لهذه الامة فهي تأخذ عن هذا التطور شدته او ضعفه وتأخذ عنه ارتفاعه او هبوطه ويكون لها بالتالي الصيغة التي تعرف درجتها وقيمتها . فعندما يكون التوتر النفسي العام ضعيفا او مضطربا ، تجمد الحركة الابداعية وعندما يصبح قويا مركزا فانها تنشط وتتفتح الامكانيات المبدعة ويبتدىء تاريخ الحضارة .

وفي عهود ما قبل الجلاء والوحدة كانت العطالة الابداعية على اشد ما تكون في الاقليم الشمالي ، ذلك للقلق الكبير الذي كان يسيطر على جميع الناس ، والشعور السلبي



الكادحون — صلاح الناشف

المؤلم الذي كان يرافق عملية الاستعمار الاجنبي . امام هذا الاضطراب الداخلي العميق ، لم يكن من الممكن ظهور اي محاولة للابتكار والخلق ، بل بقيت الروح المبدعة مغلقة مكبوتة ، وانصرف الناس بكل ما لديهم من قوة الثورة للمطالبة بحقوقهم الاساسية في الحرية والسيادة ، وبقي ميدان البناء والانتاج الفني خاليا تقريباحتى عهدالاستقلال. على ان هناك من تفتحت فيهم بذور الفن فانطلقوا يصورون عواطفهم ومشاعرهم في غفلة من الازمات والمشاكل التي كان يتخبط فيها الشعب في سوريا .

وكان لهؤلاء دور الرواد في اثارة الاهتمام بالفنون التشكيلية وممارستها ، ولم تلبث الحركة الفنية ان انبجست قوية كأنها ذات تاريخ قديم ، اذ ان فترات التوزع النفسي التي نتجت عن الاوضاع السياسية والاجتماعية لم تحل دون تراكم التذوق الجمالي في لاشعور الامة .

وليس من حقي ان احدد المستوى الذي وصلت اليه الحركة الفنية في الاقليم الشمالي الآن ، ولكني استطيع القول انها تقفز قفزات رائعة وموفقة وهي تجاري تقدم الحياة الاجتماعية السريع .

فبينما كان عدد الفنانين قبل عشر سنوات لا يتجاوز اصابع اليد اصبح اليوم يزيد عن المائة وكلهم من المجيدين الذين اثبتوا جدارتهم في كثير من المناسبات وأحرزوا الجوائز الكبرى وفازوا بتقدير النقاد والمسؤولين لهم . كما اصبح اهتمام الناس بشؤون الفن لا يقل عنه في مكان آخر فالمعارض التي تقام يزورها الناس من مختلف المستويات الثقافية ويساهم في التعريف عنها عدد من النقاد المتمكنين ، كما فتح المسؤولون امام المتذوقين مجال البعثات الفنية والمكافآت المادية ، وبدأ الجمهور يعني باقتناء اللوحات يدفع مقابلها الاثمان الكريمة

ومن البديهي ان هذا التقدم الكمي رافقه تقدم تقني فني . فبينما كان الفنانون الاوائل يلتزمون الطريقة الواقعية الكلاسيكية لا يحيدون عنها ، اصبحوا اليوم مع رعيل الفن الجديد يتجهون مع المدارس المعاصرة في طرائقها المبتكرة الطريفة ويضيفون عليها من شخصيتهم ما يجعل لها طابعا خاصا مميزاً .

والواقع ان الفنون التشكيلية تعاني اليوم نفس الازمة التي سبق وعانتها في انحاء العالم ، وعندما ثار الفنان على الواقع فادخل ذاته في الموضوع ثم عندما تنكر للواقع فلم يعترف الا بما ينفعل في نفسه وما يظفر به ابداعه الحر. هذه الازمة يمر بها الاقليم الشمالي اليوم ، ونحن نرى المهتمين بالفن فريقين ، فريق يتجه نحو تكريم الواقع واحترامه ، وفريق يقف الى جانب الفنان ويؤيد محاولاته الابداعية التي تتصل فقط بمشاعره واحاسيسه وحدوسه . على ان الفريق الاول ما زال يحتل المكانة الاولى في احراز ثقة جمهور المتذوقين ، وما زال الاتجاه الثاني يستقبل ببعض البرود مع التسامح احيانا عند اللجوء الى الطرق الحديثة القريبة من الواقع كالتأثيرية التعبيرية والوحشية .

ولعل هذه الازمة وهذا الاختلاف مما يدخل ضمن مشكلة الطريقة التي تمر بها الحركة الفنية في الاقليم الشمالي ، وتتلخص هذه المشكلة في محاولة نبذ الطرق التعبيرية المستوردة جميعا والانصراف الى طريقة محلية بدئية تتصل بجذور الفن العربي وتمتص نسغها من التقاليد والواقع المعاش ومن انوار الشمس الباهرة ومن الالوان الصافية الشفافة التي تتمتع بها الطبيعة هناك .

ولقد ولدت هذه الرغبة في نفوس الفنانين نزا دون ان تفرض عليهم من الخارج ، فكانت مظهرا من مظاهر

شارب البيرة — اسعد ذكاري

اصالتهم الفنية وصورة من صور تلقائيتهم التي تعتمد على الانفعال الحر اكثر من اعتمادها على النقل والتصميم .

والمحاولات التي برزت في هذا الموضوع كان لها تأييد كبير من جميع الاوساط المحلية منها والاجنبية ، لانها حافظت بإخلاص على طابعنا الشرقي العربي واعطت مثلا طيبا لامكانية التحرر من طغيان المدارس الفنية الاجنبية المختلفة .

ومن هؤلاء الفنانين ، نعيم اسماعيل ومحمود حماد وصلاح الناشف وادهم اسماعيل وغيرهم ، ولقد امتاز نعيم ببساطة التعبير عن جمال الحياة الشعبية مستفيدا من التزينات التجريدية والالوان المشرقة الجميلة . كما استطاع حماد ان يكثف اللون ليبرز الكتلة على اشد ما تكون تعبيرا عن غاية الموضوعات الشعبية التي عاشها ورسمها . كما ان صلاح الذي التصق دوما بحياة الناس ناقدا ومتذوقا ، تصورهم في اعمالهم المألوفة وازيائهم الجميلة بخطوط والوان سهلة شفافة .



ذكرى — أدهم اسماعيل

كما لم يزل ادهم يتبع طريقته القديمة التي يستعمل فيها خطه الممتد والمستمد من خط الزخرفة العربي وقد اجاد دوما في توزيع المساحات اللونية حتى لتبدو لوحاته ملحنات لونية رائعة .

ومن المشاكل الهامة التي تمر بها الحركة الفنية ايضا مشكلة المضمون . فالمرحلة التاريخية التي مرت بها البلاد لم تهيء الفنان للانتباه الى مجرد الجمال ، سواء اكان هذا الجمال في الطبيعة أم في الاشياء والوجوه ، بل اصبح مايهم الفنان والجمهور هو ان يكون للآثار الفنية خلفية عميقة ترتسم فيها مشاكله الاجتماعية والسياسية والقومية .

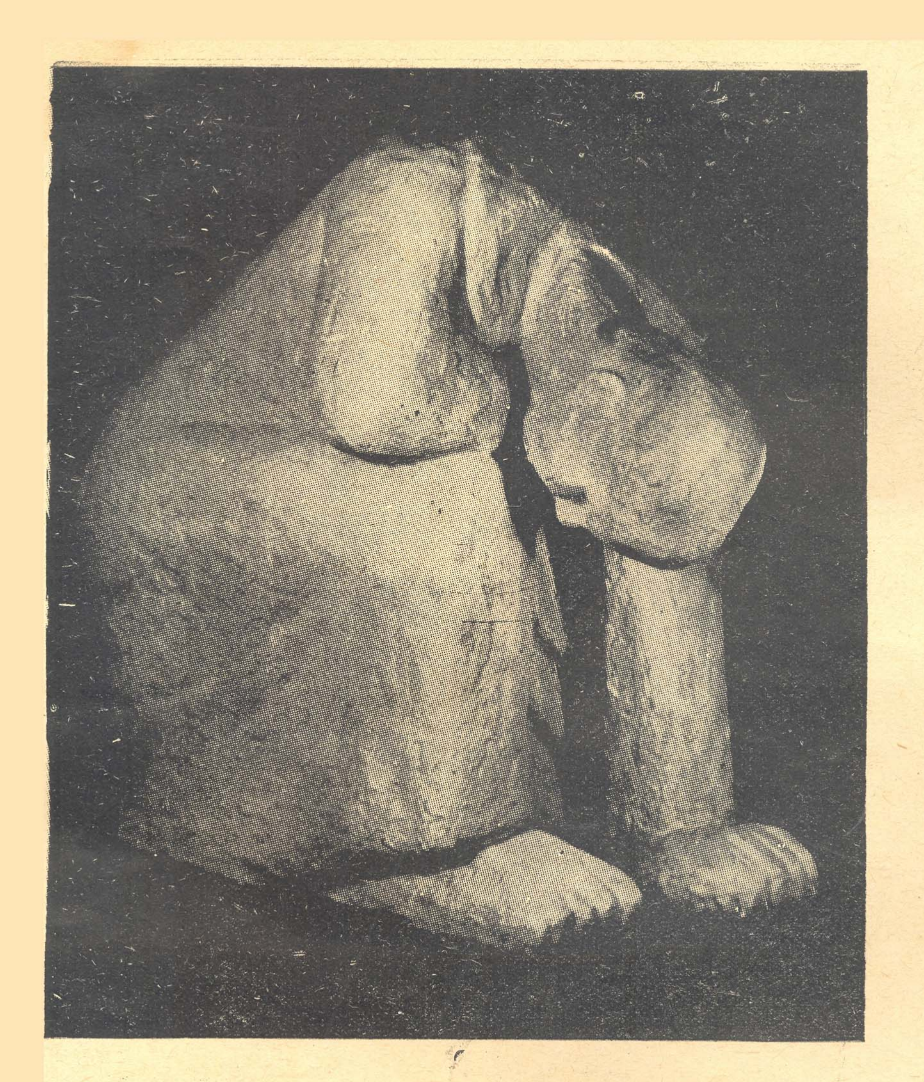
ولم يقصر الفنانون جميعا في اظهار مشاعرهم الوطنية ومعايشة الاحداث التاريخية والتعبير عنها بقوة وجمال .

فالفنان ناظم الجعفري كان يملأ لوحاته الكبيرة مشاهد وموضوعات حافلة من تاريخنا العربي المعاصر وهو ينادي بدور الفنان الاساسي في التربية الذوقية والقومية . كما ان المثال جاك ورده يقف امام آثاره النحتية وكأنه يتواجد مع القفزات القومية الرائعة التي تقفزها الامة العربية في نهضتها الحديثة .

ومحمود جلال الفنان القديم ما زال يصور تقاليدنا وعاداتنا بروح المؤرخ الذي يعتز بتراثه وامجاده .

اما الفنانون الآخرون وعلى رأسهم ميشيل كرشه ونصير شورى ورشاد قصيباتي وزهير صبان فان اندماجهم بطبيعة الحياة في دمشق خلد على ايديهم الجمال البكر الذي يتمتع به الاقليم الشمالي .

على ان غاية الفن اذا كانت في الفن نفسه ، فانها



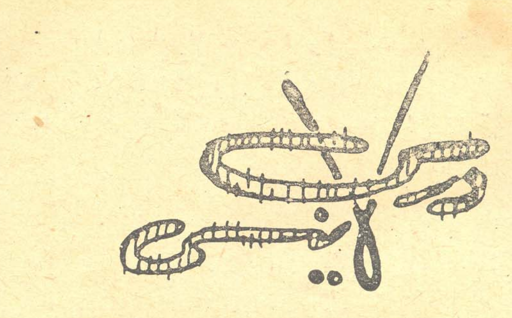
لم تتعارض قط مع المضمون الذي يجتهد الفنانون في تغذية لوحاتهم به ولهذا فاننا ما زلنا نلمس اخلاصهم للمواضيع الجمالية المجردة .

ونحن اليوم نرى في متحف الفن الحديث بالقاهرة نماذج عن جميع هذه الاتجاهات وهي تمثل كافة المستويات والطرق الفنية وتتناول مختلف الموضوعات . واعتقد ان هذا المعرض هو افضل وسيلة للتعريف بالحركة الفنية في الاقليم الشمالي فهناك سنرى انفسنا وجها لوجه امام آخر مرحلة من مراحل هذه الحركة .

« نص الحديث الذي اذيع من القاهرة في ٥-٧-٥٩ »

عفيف بهنسي

برهان كركوتلي **الشهيد**



عبد الله الشيتي

ـ أراك مكتئبة محزونة يا سلمى .. هل من جديد ؟

قالها الشيخ محروس متباطئا قلقا ، ولما لم تحر زوجته ـ . . . . . .
جوابا ، طفق يرنو اليها متفحصاً وجهها الملائكي الصبوح عله يقرأ في قسماته بعض ما فيه من غموض وما يكتنفه من ضباب .

بدت له زوجته اكبر سنا مما كانت عليه بالامس القريب ، يوم لمحها تخطر من امامه على درب «العين» في الضيعة الصغيرة الغافية عند كتف النهر الكبير بمحاذاة الجبل الذي يحتضن دمشق ، فوقعت من قلبه موقعا حسنا ، واستشعر انه بحاجة اليها ، بعد ان ماتت زوجته الاولى عن شيخوخة صالحة ، فلما ان تزوجها وعايشها شهورا قليلة شعر انه تسرع .. وشعر ان قلبه يغوص بين جنبيه ، بل شعر انه بلا قلب على الاطلاق !

كل الذين قالوا له (مبروك) كانوا يخدعونه ، فقد كان يعلم ان سلمى من طراز آخر ، وانها تختلف عن نساء الضيعة جميعاً ، ألم تطلب اليه ان يشتري لها سيارة ؟ واكثر من هذا فقد سألته ان كان بمقدورها ان تتعلم على قيادتها ، شأنها في ذلك شأن فتيات المدينة ؟.. وشعرها .. أجل شعرها الذي كان يوم تزوجها مسترسلا على كتفيها كشلال من حرير ، لماذا ذهبت الى «المدينه» وعادت بدونه .. بل عادت وهي أشبه ماتكون بشيطانات السينما اللواتي يأتي ذكرهن عرضا امامه على ألسنة الشباب ، فيتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويحذر اهل ضيعته من مغبة الانغماس في حمأة المدنية الزائفة ، طالباً الى الرجال أن يكونوا قوامين على نسائهن وبناتهن لان الله يريد ذلك ..

وتطلع فجأة الى شعر زوجته المعقوص على شكل كرة القدم ، وتساءل في نفسه : أأنهي الناس عن المنكر وانسى نفسي ؟ .. وهذه الحمرة اللعينة التي يسمونها بـ « الروج » تصبغ شفتيها بلون الدم القاني ؟ .. ولعن في سره أم ابراهيم الداية واسطة الشر والسوء ، التي كانت همزة الوصل بين سلمى وبين متاجر المدينة ، وكانت تستحضر لها ولغيرها من الصبايا خفية عقاقير العطور والامشاط العاجية ، والغلالات الرقيقة والالبسة الداخلية الهفهافة الشفافة والسراويل « النايلون » المنمنمة .. وانتفض في مكانه كمن لسعته افعى وهو يستعرض في ذهنه كلمة (السراويل) .. ثم بصق على الارض وتمتم مع نفسه :

ـ بئس هذا الجيل .. الله يرحم ايام زمان .. ان بنات اليوم خبيثات تقطر منهن الضلالة كالابالسة ، ما من احد يقدر على كبح جماحهن ، وقاتل الله شرهن ، واقام بيننا وبينهن سدا ..

ثم تذكر كيف انه طرد ام ابراهيم الداية اثناء غياب زوجته في زيارة لاهلها ، وحينما هم بصفعها لما الحفت بالسؤال عنها ، اجابت هذه وهي وراء حقيبتها الجلدية الكبيرة : يا ويلك من الله يا ظالم .. تريد ان تخنق هذه البنت المسكينة بغيرتك العمياء .. انها مثل الورد ، وانت مثل المصيبة على القلب » !

وانتفض كرة اخرى ، وهتف في وجه سلمى محتدا : لعنك الله ولعن ام ابراهيم المجرمة معك !

ولا يدري لماذا راح يحدج زوجته الفتية الشابة من جديد .. كان يتأملها وهي مطرقة لا تريم ، بعينين صغيرتين ممروضتين ، تكادان لا تبصران ما حولهما ، ولا تميزان المرئيات الا بجهد وصعوبة .

وعاد يسألها ان كان بها شيء ، او اصابها مكروه .. ولكن لا حياة لمن تنادي .. فقد ظلت صامتة كصمت القبور !

قال لها وهو يداعب حبات سبحته الطويلة في يده الناحلة : هذه ليست عيشة .. هذه ليست حياة يا سلمى .. ولان صوته وهو يلفظ اسمها ، كما لو كان يتلمظ بقطعة حلوى يقضمها في فمه .. واقبل عليها يحاول الاقتراب منها بقصد استرضائها والتسرية عنها ، لكنها اشاحت عنه تشرق بالدمع يتفجر من عينيها بغزارة .

صرخ الشيخ محروس بملء فيه وقد انتصب وسط الغرفة بقامته المديدة : هذه حال لا تطاق يا امرأة .. هذا فوق طاقتي ، لن اصبر يا امرأة .. لن اصبر !

وانشأ يهدد كثور هائج ذبيح ، وامعن يده المرتجفة في ثنيات شعرها « الافرنجي » المتموج يشده بقسوة وشراسة ويقول : انك تخفين عني شيئا ، انك تقتلينني، قولي ما بك والا .. وبلغ الحنق به مبلغا أهوى معه بصفعة على خدها أتبعها بأخرى أشد وأقوى .

وسلمى في غضون ذلك تمعن في البكاء والنحيب .

بلغ الاعياء من الشيخ منتهاه ، أفقده اتزانه ووقاره ! فلعن فيه ذلك اليوم الذي دخلت فيه سلمى داره فحولتها الى جحيم لا يطاق ، الى كتلة من شر .. وما عتم ان خرج من الغرفة بعد ان تناثرت من يده المرتعشة حبات سبحته على الارض ، كأنما لتزيد في حدة الجو المكهرب .. وسمعته سلمى وهو يقرقع بعكازه ، ويأوي الى غرفته فندت عنها آهة ، ثم مالبث ان ساد الهدوء أرجاء الدار برمتها ، على رحابتها وسعتها .

كان على الشيخ محروس ان يكفي نفسه مؤونة سؤال زوجته عما بها .. كان عليه الا يستثيرها او يستفزها ، لانه يعلم ما بها !

كان عليه ان يعزيها ـ مثلا ـ لانها رضيت به زوجا لها وشريكا لحياتها .. بل انها لم ترض به البتة ، لقد زفت اليه على كره منها ، او هو الاصفر الرنان زفه اليها !

لقد كان غنياً موسراً ، ولديه مئات الافدنة من اراضي الزرع ، وكانت جيوبه منتفخة الاوداج بأوراق البنكنوت سال معها لعاب والديها ، بل سال معها لعاب أهل الضيعة جميعا ، وفسخ ابواها خطوبتها من وصفي ابن الجيران ليبيعوها لهذا الكهل كما لو كانت شاة او سلعة في السوق .. وليس على الفتاة في القرى الا الرضوخ ، في بيئة قيل ان ذويها هم فيها « محافظون » .. وويل للفتاة ان هي مانعت او ابدت رأياً حتى في شريك حياتها .. ان هذا دونه حز الرقبة من الوريد الى الوريد .. انهم مطمئنون الى انه لا حرج على من يقتل البنت ولو بدافع « الشك » .. ان هذا من مقتضيات الحفاظ على الشرف !

وحدثت سلمى نفسها : أي شرف هذا الذي نتبجح به .. أهو في بيعي بثمن بخس ؟ .. وتمشياً مع « القاعدة » الشاذة رضيت بالشيخ نصيبها من الدنيا ، وتصابرت تعود نفسها الزهد والقناعة .. كانت تريد لاهلها أن يثروا على انقاضها ، على حساب شقائها .. وامضت معه حيناً من الدهر لم تكن لتعلم كيف مضى لولا سحابات قاتمة كانت تنثال الى رأسها الصغير الجميل بين الحين والحين ، ليقفز الى ساحة تفكيرها واقعها الاليم ..

كان زوجها ممروضاً .. كانت ممرضة له أكثر من زوجة .. لم يتبق منه غير هيكل عظمي ، ولكنه كان يتشبث بالحياة كتشبث المشرف على الغرق .. كان لا يفتأ يقول لها مثل ابن العشرين :

ـ أحبك يا سلمى ، يا شمعة تضيء هذا البيت !

كانت تبدو عندما يقاسمها فراشها كالمحكوم بالاعدام أمام جلاده القاسي ساعة التنفيذ .. كان جثة باردة لا حركة فيها ولا حياة ، وكانت هي تفيض بالدفء ، والحركة ، والحياة .

يعلم « شيخها » هذا كله ، ويعلم أن فارق السن بينهما اربعون عاماً ثم ينهال عليها بصفعاته ويسألها : ما ذا بك يا سلمى ؟ ..

ماذا يريد ان يكون بها أكثر من هذا الجوع الغريب الى الحياة ، الى الحب ، الى .. الرجل ؟ اليس هذا من حقها ؟ ولكن من من الناس يهمه امر الحق في هذه الايام ؟ رحم الله جدها القائل :

« مامات حق وراءه مطالب به » .

اعلنت ساعة الحائط الواحدة بعد منتصف الليل .. كانت الريح في الخارج تعول وتزمجر تارة ، وتئن اخرى كمريض يائس .. واصاخت الى رذاذ المطر يقرع نافذة حجرتها كأنما ليوقظ فيها سبات روحها ، ولينبهها الى أمر نفسها .. فسرت قشعريرة باردة في عروقها وهي تمسح عينيها المخضلتين براحة كفها ويتجسم « الامر » ازاءها واقعا رهيبا !

وتناهى الى مسامعها غطيط زوجها وشخيره ، فدلفت الى سريرها الوثير تنعم بدفء الفراش ، وراحت تحملق في سقف الغرفة على ضوء السراج الخافت واستمرأت وهي متمددة باسترخاء استعادة الايام التي عاشتها مع هذا الرجل ، بل مع هذه (الجثة الباردة) كما يحلو لها أن تسميه كلما خلت الى نفسها ..

ومر طيف حبيبها وصفي في خاطرها فاستمهلته متباطئة وتوقفت عنده لتستعيد الحلم السعيد الذي قوضه اهلها ، وتحرقت شوقا اليه ، فانبرى صراع يهتف من أعماقها .. من دمها : يا ليته معي الآن .. يا ليته يهبط علي من السقف بجسمه المتليء وعضلاته المفتولة وشاربيه الاسودين الصغيرين !

وظلت دماؤها تتأجج كبركان .. وراحت تتقلب في فراشها كأنها تتقلى على جمر ، وتتلوى كالافعى من فرط غيظها وكيدها وحرمانها ..

نأى النوم عن عينيها ، وحاولت ان تستجلب الكرى اليهما دون جدوى ، ان فيهما توقا لا تدري كنهه .. انها تحن الى شيء .. وهزت رأسها بعنف : لا .. لا .. لن يكون هذا أبدا !

ـ يارب .. ترفق بي ، انقذني ، خلصني ، اني احترق .. أموت .. أتعذب !

وأجشهت من جديد تطفيء لواعج نفسها بدموعها ..

كانت الى تلك الساعة بعيدة عن الناس ، عن العالم كله ، فقد حال زوجها بينها وبين الخروج بعد ان طرد ام ابراهيم جارتها .. وبعد ان أخذ يغلق عليها بالمفتاح ! انها تمقته .. تكرهه ، تمج هداياه على ندرتها وقيمتها

الثمينة .. انها تتقزز منه ومن بصاقه المروض، انها زاهدة بهذا القفص الذهبي الذي يروم حبسها فيه ..
لطالما تمنت على الله لو تعيش مع رجل احلامها، مع وصفي خطيبها في كوخ صغير .. ولشد ما كانت أمنيتها تقتصر على وصفي وحده الذي رفضه والدها بعد ان زاود الشيخ عليها، فرست عليه المزاودة، واستحقها وقالوا لها: ان وصفي فقير معدم ويشتغل مع العمال المياومين .. ونحن لانعطي اسمنا الا لثري وجيه، ذي مقام!

وتسللت خيوط النور من ربى المشرق قليلا قليلا، وامتدت الى نافذة سلمى تغمر غرفتها بالضوء وتولد اليوم الجديد.

في اصيل اليوم التالي صممت على أمر، بعد اذ ضاقت ذرعاً بوحدتها وكآبتها .. أرادت أن تضع حدا لذبولها، للشيخوخة تزحف الى روحها مبكرة، ارادت ان تأخذ (حقها) من حياتها الذي لن يموت ما دامت وراءه تسعى في طلبه وتجد في تحقيقه.

وقفت امام المرآة الكبيرة المزخرفة، وقد خلعت معطفها الثمين عن كتفيها، وتجردت من ثيابها الصوفية الناعمة، وبدت شبه عارية، ولذ لها ان تستعرض مفاتن جسدها اللدن: ثديان ناهدان بتحد وشموخ، وصدر كالبلور النقي، وساقان كأنهما عامودان من رخام، أو مزرعتان للفل، وقد رشيق أهيف، وعنق اتلع، وشفاه محمرة جائعة مكتنزة بالحمى والحلاوة!

– انه ظلم والله أن أدفن هذا السحر في هذا البيت مع هذا العجوز الفاني!

كذلك حدثتها نفسها، وانفرجت شفتاها عن بسمة خبيثة ثم شرعت في ارتداء الرقيق من الثياب، وتزينت أحسن زينة، وبدت كعروس يومها .. ثم أخذت سمتها شطر الغرفة المجاورة، غرفة الشيخ محروس الذي اعتكف فيها غاضبا حزينا.

دخلت عليه يتمايل جسمها بدلال، ينشر العطر والشذى في الغرفة، وأزكمت الرائحة العطرة أنف الشيخ، فرفع رأسه ببطء، واستعد للقاء زوجته أو (الفرس الجامحة) كما يسميها.

مساؤك خير يا سيدي!

قالت هذا، ثم سحبت مقعدا الى جواره، وجلست تتصنع الوداعة والاحتشام وصوبت اليه نظرات فتاكة!

كان الشيخ يقرأ في كتاب عندما نزلت تحيتها على نفسه بردا وسلاما، حرك الصوت الشهي أعطافه، وأطارت الانوثة الصارخة صوابه، وشعر انه يدخل معركة من غير سلاح. وكتم سعلة كادت تدرك جوفه، واستوى واقفا يفتح ذراعيه منشرح الصدر والكتاب يتساقط من يده، وخرجت الكلمات من فمه بلا حس:

– تعالي يا سلمى، ياشمعة تضيء هذا البيت، لقد ادركت ان ..

ولم تمهله، فقد قطعت عليه استرساله تناوله يدها الصغيرة المرصعة بالحلى والاساور، ووقفت تميس بقدها، وتعطيه شفتيها المحمومتين، فيهوي عليهما بقبلة رديئة باردة، أبرد من ثلج الطبيعة!

وتخلصت من بين يديه برشاقة النسيم وخفة الهر، وسوت هندامها الانيق، وردت عليها غلالتها الرقيقة، وجلست قبالته باسمة.

– سلمى؟ أيمكنك ان تصفحي عني .. كنت دائماً أعتقد انك بنت أصل وتربية، ما شككت قط باحترامك لي و .. حبك! وتنحنح متعمدا ليرى مدى وقع الكلمة على سلمى، فسره ان الابتسامة تتسع على شفتيها اكثر واكثر، واردف: انني اعتذر عما بدر مني غصب عني .. انني ..

وقاطعته بخبث: انك محق ياسيدي، انني أنا التي يجب ان تعتذر!

– ما أكرمك يا سلمى، ما أحسن نبلك، انت دائماً طيبة!

قال هذا وقد ندم لقساوته عليها، فاختلج في عينيه وميض حزين، وانبسطت أساريره وفرك يديه ابتهاجاً، وقبل ان يفتح معها حديث الحمل والنسل والعقم، وما قاله الطبيب في حالته كعادته كلما جلس اليها راضيا، قالت له سلمى حيية:

– كان يجب اخبارك ليلة البارحة بما في، ولكني آثرت كتم كل شيء عنك، لئلا أسبب لك ازعاجاً انت بغنى عنه، بيد اني لما لمست ثورتك علي وغضبك، لم اجد بدا من بسط الامر بين يديك!

وتجهم وجه الشيخ محروس، ورنا الى وجه زوجته ببلاهة وتحير، وهز رأسه بأناة علامة الاصغاء، وقد اعتدل في جلسته بوقار.

وقطعت سلمى الصمت الثقيل تقول برباطة جأش: في يوم كنت فيه غائبا عن البيت، وكان ذلك اليوم هو الاثنين، وكنت أنا وراء نافذة غرفتي اراقب من خلالها أولاد المدرسة وهم عائدون الى بيوتهم، واتسلى برؤية الاشجار والزرع وقد اكتسى ببياض الثلج، برز امامي فجأة وصفي خطيبي القديم، الذي ما ان رآني حتى تحول الي واخذ يحييني بوقاحة على مسمع من أولاد المدرسة، فاضطربت، ودهشت لوقاحته وجرأته، واشتدت دهشتي حينما أسرع الى باب الحديقة يريد اقتحامها علي، وكانت الساعة اذ ذاك الرابعة والخادمة الصغيرة قد آبت الى أهلها، وعندها صرخت به مصعوقة، واردت الاستنجاد بالجوار، فعاد ادراجه على الاثر يطلق ساقيه للريح.

وأمسكت هنيهة لتتأكد من أنها في حالة طبيعية وهالها ان ترى وجه الشيخ ممتقعا مخطوف اللون .

واردفت تخفي اضطرابها : هذا ماحدث بالضبط ، وهذا هو سبب المي ، لقد اردت اخفاء وقاحة هذا الوغد الجبان عنك ، حبا مني في عدم ازعاجك ، ولكن ضميري يعذبني اذا انا كتمت الامر عنك ، وانت رجلي وحافظ لشرفي ، مثلما أنا زوجك ، وحافظة لشرفك !

ثارت ثائرة الشيخ ، وجن جنونه ، وتدفقت الشتائم من فمه تنصب على « يافوخ » وصفي كالحمم : الكافر الزنديق .. لعن الله اباه ما أوقحه ، والله لأؤدبنه ، واسلمه الى مخفر الدرك .. واسرع يلملم أذياله ويتناول عكازه ويثبت غطاء رأسه ، ويسوي سيور حذائه ثم ربت على كتف زوجته بحنو وترفق ، وقال لها مطمئنا كالواثق من نفسه :

ـ لا عليك يا سلمى ، يا زوجتي الصالحة ، يا شمعة تضيء هذا البيت ، انتظري .. لسوف القنه درسا لن ينساه ابدا !

* * *

هرع الشيخ يجوب الزقاق الطويل المؤدي الى مقهى القرية الوحيد حيث يتحلق الشباب والكهول حول المدفأة الهرمة الصدئة يصطلون ويتجاذبون اطراف الحديث في السياسة والزراعة وشؤون القرية ، وفي فتح سيرة هذا ، وكشف غطاء ذاك ، وادرك المقهى وقد اصابه من الوحل والطين الذي علق بحذائه ما اصابه ، وتسمرت يده على العكاز من شدة البرد ، ودلف الى المقهى الصغير يلهث تعبا ، ورأى وصفي امامه لدى الباب ، او هو وصفي الذى رآه يتقدم منه ، وكان يحتسي الشاي فوقف مع الواقفين الترحيب به وهو في اتقيا غريمه من الزاهدين المشمئزين وقال على كره منه :

ـ اهلا بالشيخ محروس !

وأبى الشيخ الا ان يرد التحية بأحسن منها ، فقد انهال بعكازه الغليظة على رأس وصفي مثنى وثلاث ، ووجد نفسه وسط حلقة من الشباب يتهامسون من حوله ويتغامزون ، وقد عقدت الدهشة السنتهم ، وفغر وصفي فمه مندهشا بدوره .. ما بال هذا المجنون ؟ وتحولت اليهما الابصار : شيخ طاعن في السن ، ذابل العود ، وشاب يفيض حيوية وصحة وشبابا . وارتأى وصفي الا يؤذي غريمه قبل ان يقف على سره واستطاع احد رفاقه ان يمسك بالشيخ الثائر ، لكن هذا ادار ظهره مكتفيا بهذا القدر الذي كاله لوصفي ، ولما هم بالخروج انقض عليه وصفي ، ووقف في وجهه معترضا طريقه قائلا له بغضب :

ـ لقد صبرت عليك ، فانبئني بأمرك ، والا حطمت رأسك بهذه الكأس .. ولوح بيده القابضة على الكأس بعصبية وتطاير الشرر من عينيه وبدا صادق اللهجة والعزم .

صرخ الشيخ مهتاجا وزعق : دعني .. دعني يا حقير ، يالص البيوت ، يا عديم الشرف !

وانصت الحاضرون بفضول الى قصة الشيخ :

ـ انظروا الى هذا الواقف أمامكم ، يريد ان يكشف ستره علنا .. لا بأس .. لقد انتهز فرصة غيابي عن البيت ، واراد بحكم معرفته السابقة بالسيدة حرمنا ان يتصل بها ويحاول التودد اليها ، بل يحاول اقتحام الغرفة عليها ! ..

أرأيتم الى هذا المجرم الصفيق ؟ .. هه .. وأومأ بعكازه يوغرها في صدره ..

فسأله احد الواقفين : متى حصل هذا ياسيدنا الشيخ ؟ ..

ـ بالامس .. كان اليوم يوم الاثنين ، وكانت الساعة الرابعة عند انصراف اولاد المدرسة !

فجاءه الجواب على لسان صاحب المقهى ذي الكرش المتهدل : لكن وصفي كان مسافرا ، واقسم لك على ذلك .. وتحول الى وصفي : لماذا لا تتكلم .. لماذا لا تدافع عن نفسك .

وتعالت اصوات من هنا وهناك : نعم .. كان الرجل مسافرا يا سيدنا الشيخ ، وهو لم يعد من المدينة الا اليوم !

لكن الشيخ عاد الى زعيقه : كذبتم ، أثمتم ، كفاكم زورا وبهتانا .. انظروا .. هاهو قد لاذ بالصمت ... لعنك الله ايها الوقح الزنيم والحمد لله الذي رد اليك كيدك ، واظهر لك وللاشقياء الادنياء أمثالك حقيقة الزوجات الصالحات الطاهرات ربات الخدور !

ولم يبصق هذه المرة على الارض ، لقد صوب بصقته الى وصفي فاستقرت على صدغه ، ثم نعره في جبنبه لاعنا شاتما .

وعاد رواد المقهى يتحلقون حول المدفئة الهرمة ، ولم يكن لهم ما يتجاذبون من أحاديث غير قصة الشيخ ووصفي !

ود وصفي لو يلحق بالشيخ ويقسم له بشرف أبيه أنه ما فعل هذا الذي حكاه للناس في المقهى .. ود لو يؤكد له أنه لم ير سلمى منذ ان فسخت خطوبتهما ... وانزوى بعيدا يفكر : لماذا تفعل سلمى ذلك ؟ وما معنى تدبيرها هذه المكيدة ؟ انه يحبها ويخلص لها أفتجازيه

البقية على صفحة « ٥١ »

حبيبي لا يموت

يوسف مدور
من جمعية الادباء العرب

خرج الملازم عدنان من مكتب آمر الفوج وكلمات هذا الاخير ما زالت ترن في اذنيه :

« ان مهمتك اليوم من اخطر المهمات ، واني واثق من نجاحك ، فسريتك تضم اقوى عناصر الفوج ، وانا اعتبرك اقدر آمر سرية عندي . انك ستنجح . الا اني آمرك بأن لا تجازف بحياتك ، لاني افضل ان تعود وتقول لي انك اخفقت لان المهمة اصعب مما كنا نتصور ، على ان يقال لي ، ان نجاحك كلفنا حياتك . هذا امر عسكري »

ضحك الملازم عدنان وبدأ يحدث نفسه :

« مهمة خطيرة ويجب ان ارجع دون ان اموت ، وهذا امر عسكري ، انها مجاملة لطيفة ، اني متأكد من ان المقدم منير يفضل ان يضحي بحياته وحياة اولاده في سبيل نجاح المهمة . اذن يجب ان اكون عند حسن ظنه . ولكن كيف ستتمكن عائدة من تحمل الصدمة عندما يقولون لها ان عدنان استشهد ؟ لا بد انها ستبقى طريحة الفراش مدة طويلة ، بعدها ستستعيد صحتها شيئا فشيئا وعندئذ سيبدأ صديقي انور في التودد اليها ، انه معجب بها اكثر من اللازم بل اني لاحظت انه منذ خطبتها لي صار يتهرب مني ، وعائدة اخبرتني انها عندما تصادفه في الطريق يتجاهلها . مما لاشك فيه ان انور سيفعل المستحيل ليعيد اليها مرحها ومن ثم يبدأ التقرب منها ، انه شاب ممتاز وثري وسوف تصبح الايام التي عاشتها معي ليست اكثر من حلم عابر . »

عندما بلغ الملازم عدنان هذا الحد من تفكيره كان قد وصل الى مركز السرية ، واعاده الى الواقع صوت بندقية الحرس وهي تؤدي له التحية ، رد التحية ثم قال لرئيس الحرس الذي كان مقبلا صوبه :

— قل للوكيل سليم ان يحضر الى خيمتي مع جميع النقباء في الحال .

*

عندما وصل النقباء الى خيمة الملازم عدنان طلب منهم ان يجلسوا حوله على الارض بشكل نصف دائرة ، واخرج من حقيبته خريطة بسطها على الارض ثم قطب ما بين حاجبيه وبدأ كلامه قائلا :

— عندما تصبح الساعة السابعة تماما ، اي بعد ساعتين يجب ان نكون في ارض العدو في هذه المنطقة — واشار الى نقطة حمراء على الخريطة — سوف يرافقه الوكيل سليم والرقيب شحود والرقيب نوري مع عشرة جنود يختارهم الوكيل سليم من فئة القيادة ، اما الرقيب يوسف والرقيب بديع مع زمرة الهاون فسيبقون على ضفة النهر الشمالية ليحموا طريقنا اثناء العودة .—

وهنا قال الوكيل سليم :

— هل من الممكن ان نعرف نوع هذه المهمة ؟

فأجابه الملازم عدنان :

— البارحة انتهى اليهود من بناء عش ضخم في المنطقة المحرمة يتسع لخمسة مدافع رشاشة ، وهذا العش يسيطر على منطقة حساسة تمتد من المرتفع رقم ٧ الى المرتفع رقم ١٢ واليوم بالذات ستحضر سرية اسرائيلية كاملة لاحتلال هذا العش ، ومهمتنا نصب كمين عند مدخل الوادي — واشار الى الخريطة — وابادة السرية بأقصى سرعة ممكنة اي بحوالي عشرة دقائق فقط ، قبل ان تصلهم النجدة ، وبنفس اللحظة التي نفتح فيها النار سيقوم رجال الهندسة الذين سيرافقوننا ، بنسف العش بالمتفجرات .

قال الرقيب يوسف الذي كان يمرح حتى في اشد الظروف حراجة :

— سيدي الملازم ، لماذا ابقيتني على الضفة الشمالية ؟ هل المهمات الخطرة وقف على الشباب ؟

— كلا يا ابا حيدر ، انما في مثل هذه المهمات نفضل الغير متزوجين وانت فوق ذلك عندك اربعة اطفال .

فابتسم الرقيب يوسف وقال :

— اذن ارجوك ان تأخذ معك المجند عقلة ابو زريق لانه غير متزوج ويتحرق لهفة على الشقراوات .

ابتسم الملازم عدنان لان الرقيب يوسف كان يعتبر المهمة نزهة ، ثم التفت الى الوكيل سليم وقال :

— خذ ابو زريق ايضا ، لكي يتأكد بنفسه من سخافة اعتقاده . وليفهم اننا عرب ولا نعامل الاسرى الا بموجب القوانين الدولية والشرف ، حتى ولو كانوا صهاينة . كما اني بهذه المناسبة اعتبركم انتم النقباء مسؤولين عن مثل هذا التفكير الخاطيء الذي يتسرب الى ادمغة بعض الضعفاء من جراء ما يرونه في الافلام السينمائية التي تصور الجندي المنتصر على شكل زير نساء ، يستبيح اعراض عدوه . قد تكون هذه عادة الدول الاخرى ، اما العرب فلا تسمح لهم مروءتهم بالانحدار الى هذا المستوى الهمجي .

فقال الرقيب يوسف مواصلا مزاحه :

ـ لقد اشتهرت بنات صهيون بأنهن لا يقمن معنى للشرف ، فلماذا لا نفسح المجال لابي زريق لتحقيق رغبته؟

ظهرت علائم الغضب على وجه الملازم ، ليفهم الرقيب ان الوقت ليس وقت مزاح ، وليدعه يكف عن حديث النساء ، لانه اذا ترك له المجال للاسترسال ، سيجعلهم يتصورون ان الخيمة هي مسرح « الفولي بيرجير » فهو مشهور بحبه للنساء وقد مضى على خدمته في الجيش اكثر من خمسة عشر عاما وهو برتبة رقيب ، والجميع يعلم ان سبب تخلفه هن النساء .

واصل الملازم عدنان اعطاء تعليماته ، وبعد ان كررها بايجاز قال :

ـ اذهبوا الآن واستعدوا ، نظفوا الاسلحة واعدوا القنابل اليدوية .

كانت الساعة السادسة والنصف عندما اجتاز الملازم عدنان وجنوده نهر الاردن بسلام ، الا المجند ابو زريق الذي جرفته مياه النهر معها لثقل وزنه واستهتاره وعدم تقيده بالتعليمات بدقة من اجل عبور النهر لانه كان يعتمد اكثر من اللازم على قوة عضلاته . وقد وجدوه فيما بعد متشبثا بجذع شجره واللعنات تتناثر من بين اسنانه المصطكة على شقراوات صهيون .

* * *

وصل الملازم عدنان الى المكان المحدد للكمين وباشر حالا بتوزيع جنوده على المراكز الحساسة واعطاء كل منهم مهمته الخاصة ، وما ان انتهى من اصدار اوامره حتى سمع وقع اقدام الجنود الاسرائيليين يعكر السكون . فاطلق الملازم عدنان شهابا مضيئا ايذانا بفتح النار ، فاضاء الوادي الذي كانت تتغلغل به العصابات الصهيونية ، وضغط الجنود على زنادات رشاشاتهم وانقلبت الايدي الى منجنيقات تمطر الاعداء بالقنابل اليدوية وكانت السرية اليهودية القادمة لاحتلال العش محمية من سرية اخرى ، يظهر انها جاءت توصلها الى مقرها ، لكن السريتين لم تتمكنا حتى من الرد باكثر من عشر طلقات طائشة . لان المفاجأة نشرت الفوضى بين صفوفهم ، وكان المركز المرتفع الذي وضع به الملازم عدنان جنوده يسيطر على الوادي الذي انحشرت به العصابات الصهيونية ولم تمض عشرون دقيقة حتى كانت السريتان قد ابيدتا تماما .

* * *

عندما امر الملازم عدنان بايقاف النار ، سمع انفجار هائل ، فقال للوكيل سليم :

ـ لقد نجحوا بنسف عش الرشاش ، لكنهم تأخروا ، سأذهب اليهم لاعرف الاسباب ... قم انت بالتفقد ... واتبعني الى هناك .

* * *

عندما وصل الملازم عدنان الى مكان العش اتجه الى الرقيب آمر مفرزة الهندسة الذي حياه ثم قال :

ـ نفذنا الاوامر سيدي الملازم ، واستشهد احد جنودنا فقط ، كان المكان محروسا من قبل حظيرة من جملتها امرأة ، خرجت من الوكر عارية تماما وهي تطلق النار من رشيشها لكي تربح اللحظة التي قد يضيعها الجنود بالنظر الى جسدها العاري ، فتكون هي القاضية . الا ان هذه الحيلة لم تنجح ، لان المجند برهاني عاجلها بقنبلة يدوية قضت عليها في الحال .

ـ اني فخور بكم .

ثم اضاف مازحا رغم انكم لستم من المشاة .

وعاد الى لهجة الجد بسرعة وقال :

ـ يجب ان نحاول نقل جثمان الشهيد الى معسكرنا وان كان من الصعب عبور النهر به . خصوصا اذا جاءت قوات صهيونية جديدة .

فاجاب الرقيب بصوت متقطع النبرات ، سيدي ، لم يعد لجثمان اخي اي اثر ، لقد القى بنفسه مع عشرة كيلو (تي ان تي ـ) على احدى فوهات العش ....

وانحدرت دمعتان كبيرتان على خدي الرقيب ... ثم اطرق الى الارض .

في هذه اللحظة وصل الوكيل سليم ، وحيا الملازم وقال :

ـ رجال ـ سلاح ، كامل سيدي الملازم ، انما لم يبق معنا سوى الف طلقة فقط ...

ولم يكد ينهي الوكيل سليم كلامه حتى سمع صوت « ام كامل » (كما يلقب جنود الجيش الاول الطائرة الصهيونية) واصبحت فوق رؤوسهم تماما ، وابتدأت تحوم على ارتفاع منخفض جدا وتطلق نيرانها عليهم . فصوب الملازم عدنان مسدسه الرشاش ، ولكنه لم يكد يطلق بضع طلقات حتى سقط على الارض والدم الاحمر ينزف من جسمه بغزارة ، وراح يصيح :

ـ اجهز عليها يا سليم ، اجهز عليها ....

وكان سليم في الواقع بدأ يطلق الرصاص بمهارة فائقة فهوت الطائرة ، وقد استقرت بها طلقات الرشيشين

اللذين كانا يرقصان طربا بين يدي الوكيل سليم والرقيب شحود الذي كان قد وصل الى المكان قبل مجيء الطائرة بعدة ثوان .

* * *

كان الممرض قد ضمد ساق الملازم عدنان قدر المستطاع انما رغم ذلك بدأ يفقد وعيه من كثرة الدماء التي نزفت من الساق التي حطمها الرصاص ، فجمع قواه وقال :

ـ خذ الجنود يا سليم وارحلوا من هنا حالا قبل وصول طائرة اخرى ، اتركوني وشأني ، لقد انجزت مهمتي ، قدم احترامي الى المقدم منير ...

فرد سليم بصوت خافت ، وكأنه يكلم نفسه ، لان الملازم عدنان كان قد اغمض عينيه :

ـ آسف يا سيدي ، اني سوف اخالف اوامرك للمرة الاولى ، ثم رفعه على ظهره بمساعدة الرقيب شحود ، واضاف :

ـ استلم القيادة يا شحود ، سأحاول الوصول الى السرية بأقصى سرعة ، وسأرافق الملازم بسيارة الاسعاف الى المستشفى . قدم تقريرا موقتا الى المقدم ، وعند عودتي سأقدم تقريرا مفصلا

رفع الملازم عدنان رأسه قليلا عن الوسادة فأبصر الطبيب والممرضة والوكيل سليم ، وكل منهم يحاول ان يخفي حزنه بابتسامة مغتصبة .

نظر الملازم الى الوكيل سليم الذي لم يستطع رغم جهوده ان يخفي الحزن العميق المرسوم على وجهه ،وقال :

ـ امر بسيط ، لا تحزن ياسليم ، ستكون لي ساق اصطناعية مصنوعة خصيصا بالمانيا عوضا عن ساقي... ولن يظهر الفرق بتاتا ...

ثم التفت الى الطبيب وقال مازحا ... اليس كذلك؟..

فأجاب سليم وقد انفردت اساريره قليلا :

ـ انه في الواقع امر بسيط ، ساقك مقابل سريتين يهوديتين وطائرة ....

بعد برهة صمت التفت الملازم عدنان الى الصورة الموضوعة قرب سريره على الطاولة الصغيرة وبجانبها اناء يحتوي وردا احمر ، وقال للوكيل سليم :

ـ هل ارسلت برقية الى عائدة تخبرها أنني استشهدت كما طلبت منك ؟

ـ نعم سيدي ، رغما عني ، لاني لم اجرؤ على مخالفة اوامرك مرة ثانية ، ولكن ، ألا تعتقد ان عملك هذا فيه كثير من التضحية ، قد لا يكون لها مبررا . وكما وعدنا الطبيب ، ان الساق التي سيحضرها لك لن تجعل الفرق ملحوظا .

ـ اعرف ذلك يا سليم ، لكنها على كل حال ساق اصطناعية . ان عائدة احبتني وانا رجل كامل ، اما الآن واصبحت بهذه الحالة ، فلا اريد ان افرض نفسي عليها .

وفي هذه اللحظة سمعت جلبة بالخارج ، عند باب الغرفة ، وتعالى صوت نسائي غاضب يصيح :

ـ دعوني ادخل ... حبيبي لا يموت .. انه هنا .. اريد ان اراه ...

وفتح الباب بشدة وتنحنح الرقيب شحود الذي كان يحاول منعها من الدخول وقبل ان يتمكن من استعادة توازنه ، كانت قد مرت كالسهم والقت بنفسها على الملازم عدنان ، والدموع تنهمر من عينيها ، ثم جمعت قلبها وروحها في كلمة واحدة :

ـ عدنان

ـ عائدة

دمشق ـ يوسف مدور
من جمعية الادباء العرب



« الزجل » بين مؤيديه ومحاربيه ...

بقلم : محمد نذير الحلبي

الادب بقسميه : اللفظي والمعنوي ، فن نقل الفكرة الى القراء والسامعين ، بأناقة ورشاقة ، والفكرة وحي والهام ، ولا بد أن تهدف الى غاية ، والغاية اما أن تهم ملة أو امة أو شعوبا ، وعلى نسبة شمولها يكون الاثر الادبي موضعيا أو اقليميا أو عالميا .

ويعتقد بعضهم أن القسم اللفظي ، أي صناعة تنميق الكلام ، هو الادب الرفيع والاعجاز الصحيح ، فبه يستتر ضعف المعاني وراء الالفاظ والتراكيب الغامضة ، ويرى آخرون أن القسم المعنوي ، أي أسلوب عرض الفكرة بشكل مؤثر جذاب ، هو الادب الخالد ، وكثيرا مايلجأون الى تحريك عواطف الجماهير دون عقولهم ، أما الفكرة ذاتها ، والغاية المقصودة منها ، فلم تنالا حتى الآن حقهما من العناية ، ولا يخفى ان هذه الصفات قلما تتوفر لاحد ، واجتماعها في اديب واحد ، كاجتماع الغنى والجمال والعلم والاخلاق في شخص واحد .

ولا شك بأن قيمة أي أثر أدبي لا تثبت الا اذا خلع ثوبه اللفظي ، وارتدى بالترجمة ثوبا آخر ، عندئذ لا تبقى منه الا الفكرة والغاية وأسلوب العرض ، واحسن الافكار ماتستهدف تهذيب النفس وسعادة الانسان ، لان لغته هي اللغة المتداولة ، وأمثلته هي الامثلة الشائعة وهو مترجم بطبيعته ولا يحتاج الى قاموس او معجم .

*

وليس أقرب الى هذا من الشعر الشعبي الذي هو لغة العامة يفهمه صاحب « سيبويه » وصديق « ابو رشدو » لان لغته هي اللغة ،وامثلته هي الامثلة الشائعة وهو مترجم بطبيعته ولا يحتاج الى قاموس أو معجم .

والزجل الذي معناه باللغة رفع الصوت بالتطريب هو كما قيل من اختراع اهل الاندلس ، اذ أنه بعد أن نضجت الموشحات وتداولها الناس بكثرة حركت نفوس العامة فنسجوا على منوال الموشح بلغتهم العامية وقد كثرت اوزانه حتى قيل : « صاحب الف وزن ليس بزجال » واول من اخترعه رجل يقال له « راشد » ولكنه لم يظهر فيه رشاقته كما ابدع فيه بعده « ابن قزمان » المتوفي سنة ٥٥٥ هجرية ، وهو امام الزجالين على الاطلاق .

ولقد مضى على استنباط هذا الفن ثمانمائة عام ، ان لم يكن اكثر من ذلك بكثير ، تعرض خلالها لكثير من المشاحنات والعنعنات ، بين مؤيد ومعارض ، ومناصر ومحارب ، من ذلك قول الشدياق :

تبا لها لغة بغير قراءة
وكتابة ، عين بلا انسان

وقول صفي الدين الحلي في مقدمة ديوانه :

« وقد اعربت هذا الكتاب عن كل ما عري من الاعراب ، من الفنون الاربعة التي لحنها اعرابها ، وخطأ نحوها صوابها » . يقصد بذلك : الزجل ، المواليا ، الكان وكان ، القوما . والاول وهو من اختراع اهل الاندلس كما سبق ، والثاني وهو من اختراع اتباع البرامكة ، والثالث وهو من اختراع البغداديين ، والرابع وهو من اختراع المولدين .

*

وبقي الزجل هكذا عرضة للتهكم والازدراء حتى اواخر القرن التاسع عشر ، فقد نزل الى ميدان الزجل كبار الادباء والشعراء يصولون ويجولون ونظموا في فنه ما يكفي لان يكون سدا منيعا في وجه اعداء هذا الفن ، أذكر منهم : احمد شوقي ، رشيد نخلة ، احمد رامي ، فخري البارودي ، وعشرات غيرهم وكلهم من كبارادبائنا ، ولم يسلموا هؤلاء ايضا من هجمات المتعصبين اللغة الفصحى ، فانبرى لهم أدباء وعلماء وفلاسفة وكتبوا ونظموا ، فكان عملهم هذا اعترافا منهم بهذا الفن وتأييدا له ، أذكر منهم : الفحام ، والنديم ، والنجار ، من علماء

الدين، واسماعيل صبري (باشا) ومحمد صدقي (باشا)، وحفني ناصيف (بك) ومصطفى نجيب (بك) أعلام الادب العربي. وامام العبد ، وخليل نظير ، وهؤلاء جميعا من صفوة الكتاب والشعراء الذين فازوا بأوفر قسط ثقافي في الازهر والمعاهد العالية ... والحياة ... وكان لهذا الموقف من كبار الادباء والشعراء أثر بالغ في دعم الزجل فأصبحت له امارات ونواد وجمعيات وكتب ومجلات .
ففي الاقليم الجنوبي لمعت اسماء وأسماء أذكر منها : عزت صقر ، سيد درويش ، بيرم التونسي ، بديع خيري ، محمود رمزي نظيم ، ابو بثينة ، حسين مظلوم رياض ، حيرم الغمراوي ، حسين الطنطاوي ، ومئات غيرهم ممن تخونني الذاكرة في تذكر اسمائهم . وفي لبنان برزت شخصيات قوية في هذا الميدان اذكر منهم : لويس فرح الفغالي ، اسعد الخوري الفغالي (شحرور الوادي) ، وليم صعب ، أنيس روحانا ، علي الحاج ، أسعد السبعلي ، طانيوس عبده ، كامل سليم ، أسعد سابا ، عجاج المهتار ، وغيرهم وغيرهم . كما برز في الاقليم السوري نجوم أضاءت ليل هذه الامة الطويل الدامس ، ليل الاستعمار الذي لا يعرف النور مطلقا فكانت لهم الايادي البيضاء التي ساهمت مساهمة فعالة في اذكاء روح الوطنية والهابها ، حتى كان يوم الجلاء عن الاقليم السوري ، واذكر منهم : عمر الزعني ، سلامة الاغواني ، عبد الغني الشيخ ، علي دياب ، أحمد أيوب ، محمد شفيق ، حكمت محسن ، سامي ابو نادر ، رفعت العاقل ، خليل المحام ، انور البابا ، ثابت المحتسب ، ومئات غيرهم .

*

وهكذا انبعث فن الزجل مجددا بقوة وبسرعة ، فبينما نحن لا نجد الا النزر اليسير منه خلال الثمانية قرون الماضية ، نجده غزيرا جدا في زماننا هذا ، مما جعل كبار الادباء والعلماء والكتاب يقدرونه حق قدره ،ويشيرون اليه في كل مناسبة ، مذكرين به ، منوهين بأهميته وفائدته ، يكفي انه لغة الشعب التي لا تحتاج الى مترجم ، فمن ذلك ما قاله الاستاذ ظافر القاسمي (نقيب المحامين سابقا)في محاضرة القاها على مدرج الجامعة السورية عام ١٩٥٥ بعنوان : « المحاماة بين القانون والعلم والادب والسياسة » بالحرف الواحد : « ولعل الطائفة الوحيدة التي تقع عليها مسؤولية التوجيه كالمحامين ، هي طائفة الادباء ، فهؤلاء بما رزقوا من قدرة على الاداء ، وقوة في التعبير ، وتأثير سحري في النفوس ، بالشعر والنثر ، **وحتى بالزجل العامي** ، يستطيعون أن ينفذوا الى الاعماق وان يبعثوا ما تثبط من الهمم ، وان ينشطوا ما خمل من العزائم . والادباء بهذا المعنى محامون ، فهم انما يدافعون عن فكرة معينة ، او يدعون الى مذهب معين ، ويحضون الى اتباع طريق يعتقدون انه قويم لا عوج فيه ، فهم وان اختلفوا مع المحامين في التسمية ، الا انهم يلتقون في الغاية والغرض » .

ولا عجب ايضا اذا سمعنا الاستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي يقول في « واعظ العتبة » الذي يلقي الاحاديث النبوية ويفسرها باللغة العامية : « هو واعظ يتكلم بالعامية البلدية كلاما يرضى عنه المسلم ، والنصراني ، والملحد الذي لا دين له ، لانه يدعو الى الله ، والى الفضيلة والصدق والامانة ، وترك الشهوات ، بأسلوب عجيب يضرب به الامثال ، من حياة البلد ، ويخلط فيه الجد بالهزل ، والحماسة بالنكتة ، والحكمة بالقصة ، ويرهب ويرغب ، ويبكي ويضحك ... فأحسست انه قد اخذ بجوانب قلبي ، وداخلتني خشعة لكلامه ، حتى كأن الذي اسمع صوت الحق ، يتكلم من فوق رؤوس البشر ، لا صوت واحد من الناس ، وتلفت حولي فرأيت ان شأن الناس كلهم شأني » .

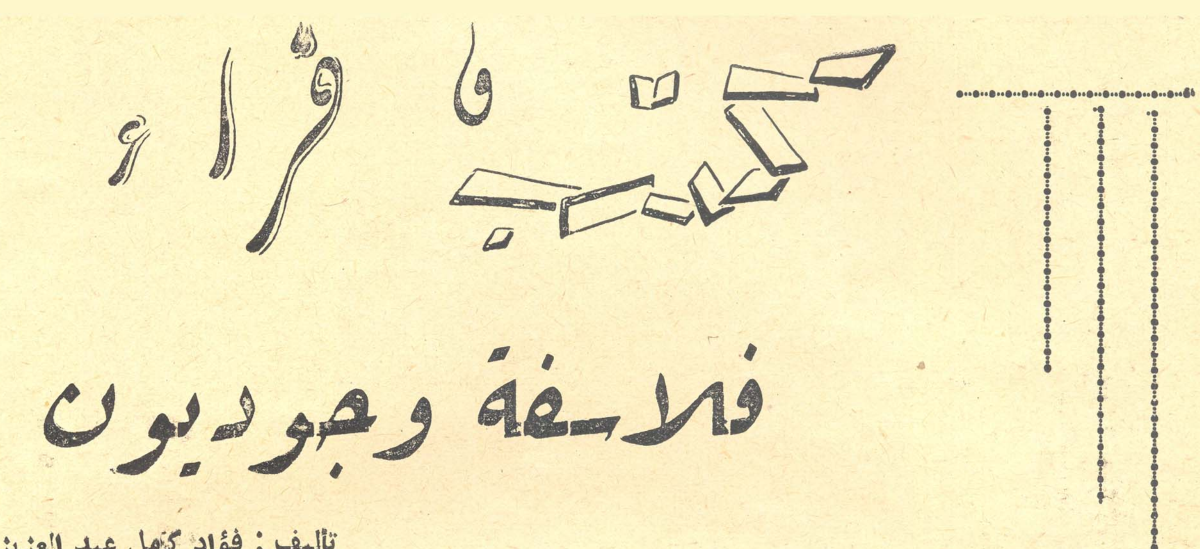
واليك هذه النتفة من مقدمة للاستاذ « نقيب الادباء » كامل الكيلاني ، يقدم فيها لرباعيات الخيام التي نظمها زجلا الاستاذ حسين مظلوم رياض : « قال لي صاحبي سمعت انك وعدت بتقديم بعض الازجال وهو تناقض غير عادي واضطراب لا سبيل الى تعليل شذوذه فهلا تفصح لنا عن مصدر هذا التناقض الذي اشرفت على الوقوع فيه ؟ كيف تسمي من يقف حياته على الاشادة بالفصحى وتلقينها للاطفال منذ نشأتهم ثم يشفع حماسته للفصحى بحماسة جديدة فجائية للغة الشعب يعلنها في كتاب من كتبها مهما بلغ من الروعة والاعجاب فلن تخرج لغته عن العامية ؟؟ قلت : ان كل زجال يعني برفع فنه وينجح في تثقيف سواد أمته لهو جدير منا لا أقول بالتقدير بل أقول ، بالاعجاب والاكبار » .

الى غير هذه الاقوال القيمة التي تستحق شكر اصحابها والتي سيسجلها لهم تاريخ أدبنا الشعبي المعاصر بمداد الثناء والفضل .

*

وهنا لا بد لنا من شرح نقطة هامة هي دعامة هذا الموضوع ، تلك هي « اللغة » والتي هي من المقومات الاساسية للقومية العربية ، فلغتنا هي العربية ، ولا نستعملها الا في نظم الشعر الفصيح ... والمؤسف حقا

البقية على الصفحة « ٥١ »



فلاسفة وجوديون

تاليف : فؤاد كامل عبد العزيز

نقـد : عدنان ابن ذريل

فلاسفة وجوديون ، للاستاذ فؤاد كامل عبد العزيز ، كتاب علمي تبسيطي في الوجودية ، واعلامها ، عرف المؤلف فيه بالمذهب الوجودي ، نشاته ، وتطوره ، كما عرف بفلسفات ستة من رواد الوجودية هم كيركجورد ، نيتشه ، هيدجر ، يسبرز ، سارتر ، ومارسل ..

يحاول المؤلف في مقدمة الكتاب ان يعرف بالفلسفة الوجودية ، فيراها مجهودا للوصف العيني للمعاناة الانسانية ، فيقول : نستطيع ان نسمي فلسفة وجودية كل مجهود يبذله الفكر العيني ، الوصفي ، ليجعل من الانسان محورا له ، في مقابل التفكير المجرد الذي يتسلسل وفقا للمنطق ، ويؤلف نسقا من الافكار يشمل الكون كله في تفسير متلاحم .. ثم يقارن بين التفكير المجرد ، والتفكير الوجودي ، من حيث موضوعه ، ومنهجه ، فيقول : ان التفكير المجرد يهتم بالانسان كعنصر من عناصر الكون ، وان ينظر اليه من وجهة نظر موضوعية صرفة ، بينما يرتبط الفكر الوجودي ارتباطا أساسيا ، رئيسيا بالانسان محاولا الكشف عن سره من وجهة نظر ذاتية صرفة ، وباعتباره فردا له وجوده الخاص ..

كل ذلك يفسر لنا قيمة كتابات الوجوديين الادبية ، وتحليلاتهم الوصفية ، وفي ذلك يقول المؤلف : تحاول الفلسفة الوجودية ان تعرض سياق تفكيرها في جوه الاصيل النابض بالحياة ، ولهذا كانت الروايات ، والمسرحيات واليوميات التي كتبها الفلاسفة الوجوديون ابلغ تعبير عن الفكر الوجودي ..

يعرف المؤلف أثرها بالفلسفات الوجودية المختلفة ، المؤمنة منها او الملحدة ، المذهبية منها او غير المذهبية ، فيعرف باصحابها ، حياتهم ، اعمالهم ، ومذاهبهم في الوجود ..

هذا التعريف على العموم ينم عن فهم للوجودية ، واحاطة بمذاهبها ، يلاحظ عليه الدقة في البسط ، والسلاسة في التعبير ، الا ان التبسيط هو الغالب ، العام ، على هذا التعريف الطريف ، القيم ، وهو الذي دفع المؤلف الى اهمال مراجع الكتاب ، ومصادره ، كما دفعه الى اهمال تنسيق الكتاب ، أو تبويبه ...

لقد شكرت للمؤلف تعريفه بكيركجورد ، ونيتشه ، وهيدجر ، ان حديثه عن هؤلاء الفلاسفة من أقوى ما نقرأ اليوم في الوجودية ، انظر الى تحليل المقولات الوجودية عند كيركجورد ، من تفرد ، وسر ، وصيرورة ، وحرية ، وخطيئة ، وقلق ، وانظر الى تفرقة هيدجر للوجود الى وجود مبتذل ، ووجود اصيل ، وقيمة القلق في الاخير ، وانظر الى انتقاد نيتشه للفكر المجرد وايثاره الذاتية ، وارادة القوة ...

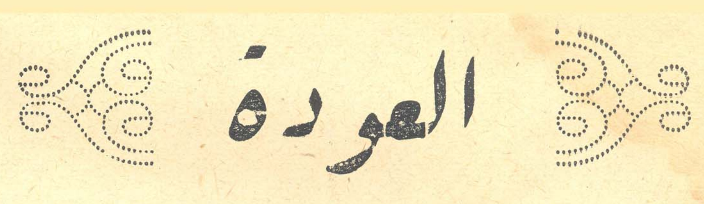
وفي تعريف المؤلف بالفلاسفة الآخرين لمحات قيمة في عرض مذهبهم ، أو توضيحه ، ولكن كم كان بودنا لو التزم المؤلف المنهج العلمي ، فأحال القاريء الى المصادر التي يستقي عنها ، خاصة التي الرواد الوجودية انفسهم ..

مأخذ أخير آخذه على هذا الكتاب هو اهماله الوجودية العربية ، وهو مأخذ كنت أخذته على مؤلف تبسيطي آخر في الوجودية (*) ، أعود هنا ، فأكرره ، راجيا ان يولي مؤلفونا عنايتهم بالفكر الوجودي العربي ، الحديث وثمراته في الفلسفة والادب ..

وفي الختام تحيتنا للمؤلف السيد فؤاد على مؤلفه متمنين له اطراد النجاح ، والله الموفق ...

دمشق ـ عدنان ابن ذريل

(*) ـ هو كتاب الفلسفة الوجودية ، للدكتور زكريا ابراهيم .



العودة

بقلم : الفة عمر باشا الادلبي

لقد سدت في وجهي جميع أبواب الرزق التي قصدتها، ولذلك لم أجد مناصاً من الرضى بأن أعمل سائق سيارة للاجرة ، غير اني اشترطت على رب العمل ـ صاحب السيارة ـ بأن يكون عملي في الليل رغم ما في ذلك من مشقة وجهد ، فالليل أخفى للويل كما يقولون . فكنت أقبع منكمشاً على نفسي خلف مقود السيارة أواري وجهي من المارة خشية ان يراني أحد من معارفي أو أصدقائي . كنت أتخيل الدهشة التي ستعتريه ، والاسف المرير الذي سيرتسم على وجهه وهو يحدق الي النظر وكأنه يقول نفسه وقد خامره الشك في أمري : لك الله يا نكبة فلسطين !! أيصبح حسن بك أحد وجهاء يافا الذي كانت هوايته المفضلة اقتناء السيارات الفخمة ، سائق سيارة للاجرة ؟ واتمثله كيف يدور على عقبيه ثم يختفي من امامي ، اما رحمة بي واشفاقاً علي ، أو تحاشياً لما قد يحرجه من حالي .

على اني ما لبثت وقد مر الزمن حتى تبلد احساسي وتجمد شعوري ولم تعد تمر ببالي أمثال تلك الخواطر ، لقد ألفت عملي هذا واستكنت اليه ورضيت بالواقع المرير ، واصبحت أعيش ليومي فقط واعمل كآلة صماء . لقد تساوت في نظري قيم الحياة ومفاهيمها ، فلا فرق عندي بين خيرها وشرها ، رفيعها ووضيعها ، واصبحت تراني أحدق النظر الى المارة وانا خلف مقود السيارة كأني أتحداهم واحدا واحدا ، أو كأني أقول لهم أنا فلان ابن فلان وقد اصبحت كما ترونني ، فأي دعوى لكم عندي ؟؟

وكنت قد اتخذت لسيارتي موقفا اتصيد منه الركاب امام ملهى ليلي في ضاحية من ضواحي دمشق ، وذات ليلة عاصفة وقد اربت الساعة على الثامنة بعد منتصف الليل وانا ما أزال قابعا في مكاني خلف المقود ، انتظر خروج رواد الملهى ، وأقاسي سآمة الانتظار ، أدخن اللفافة تلو اللفافة واعصابي في خور ثقيل ، لا شيء يثير اهتمامي اليذكرني بيوم كنت فيه من رواد الملاهي ومن زبائنها المرموقين ، وكادت تنقطع كل صلة لي بالماضي الذي اخذ يبدو لي على قربه سحيقاً سحيقاً كأنه مغطى بضباب كثيف .

ويخرج من الملهى رجل قصير بدين والى جانبه امرأة فارعة الطول واراه بعد قليل يشير الي بطرف أصبعه وأسارع لتلبية طلبه ، فتنساب سيارتي الى حيث قد وقف والى جانبه المرأة الفارعة . وما يكاد ضوء السيارة يقع على وجهها حتى اعرفها لاول وهلة رغم ما طرأ عليها من تغيير ، كانت هي ميمي بعينها ، تلك الحسناء اللعوب التي كانت تعمل في ملاهي يافا قبل النكبة ، وكان قد سبق لي ان عاشرتها آنذاك مدة طويلة ، اغدقت عليها خلالها اموالا طائلة . حتى اذكر انني اهديتها فيما اهديتها سيارة بويك خضراء . وما كدت اعرفها حتى اعتراني ارتباك شديد فخطر لي ان اتراجع ولكن يد الرجل كانت قد ادركت باب السيارة . ومرت ميمي من امامي واستوت في السيارة الى يمين الرجل دون ان تلتفت فتراني ، أو تأبه بي واستطعت ان احدق نظري اليها قليلا ، ولم يعد في نفسي ادنى شك من انها هي نفسها ، ولكن المسكينة كانت ترتدي ثيابا رخيصة على غير عادتها ، وقد اختفت اناقتها وتلاشت كبرياؤها التي قلما كانت ترى على مثيلاتها من النساء وبدت وكأنها على ابواب الكهولة . وخيل الي انني استطعت ان اسيطر على اعصابي المضطربة ، وما هي دقائق وستمر بسلام واشعر بغصة مريرة وأقول في نفسي : يالتصاريف القدر! اين انا اليوم من يوم كنت فيه أسوق سيارتي الخاصة والى جانبي ميمي في عز شبابها وجمالها يحسدني على صحبتها كثير من الناس ؟ وخطر لي ان التفت اليها واقول لها :

ـ حتى انت لقد ازرى بك الدهر بعدنا !!

وما ادري لماذا اعترتني رعدة هزتني هزا عنيفا عندما سمعت صوتها ذا الرنة الشجية التي كان سحرها يبلغ أعماق نفسي وهي تحدث الرجل قائلة له :

ـ أين هي سيارتك ؟ أعرف ان لك سيارة خاصة !

ويجيبها الرجل بصوت ثمل :

ـ لقد بعتها من امد قريب . لانني ارغب في شراء سيارة من طراز جديد .

فتقول ميمي : يا سلام عظيم . عليك بالبويك ، اذن . فليس بين السيارات سيارة تضاهيها فخامة ومتانة . كان عندي سيارة بويك خضراء أهداها الي صديق عزيز . .

ويقاطعها الرجل بلهجة ساخرة ، وكأنه ظن ان المرأة تحرضه ليشتري لها سيارة :

ـ ياسلام كان عندك بويك ! واين هو صديقك العزيز هذا الذي يهدي السيارات البويك ؟ ؟

وترد عليه المرأة بلهجة مفعمة بالاسى : هو من يافا وقد مات المسكين شهيدا في حرب فلسطين .

ويقهقه الرجل ويقول بلهجته الساخرة :

ـ خلصنا منه والحمد لله !

واكاد وانا اشهق دهشة من جوابها غير المنتظر . ثم ما لبثت ان وجدتني اقود السيارة ساهما فاغرا فمي محملقا بلا شيء . وأنا أقول في نفسي :

ـ أميت انا اذن ؟ ! أماتتني اللعينة بسهولة ويسر . بكلمتين فقط . كلمتين باردتين . كم انا هين عليها اماتتني وهي تعلم يقينا انني حي أرزق ، ولكني ميت في نظرها ما دمت معدما لا أملك شيئا ماذا يحدث لها ياترى لو أنني التفت اليها وأضأت النور وأريتها وجهي ، ثم قلت لها رحمة الله على الشهيد الكريم ؟ وهممت ان افعل ذلك ولكني ما البثت أن تراجعت وانا اقول في نفسي :

لا لا . لا يحق لي ابدا ان احرجها واربكها وقد اختارت لي هذه الميتة الشريفة الكريمة ! شكرا لها .. لقد أماتتني والله حيث كان يجب علي أن أموت . أليس الموت خيرا من هذا الهوان ؟ ...

ويفوتني بعض حديثهما ثم اسمعه يقول لها بسخرية لاذعة :

رحمة الله على صاحبك اليافاوي هذا كم كان كريما متلافا ، وبطلا مغوارا في كل الميادين ! لقد اهداك كما تقولين سيارة بويك ، وهذا ليس بقليل ، ولكنه أهدى فلسطين روحه فهو كريم في كل المواقف !

وترد عليه وقد ارجف صوتها ما في نفسها من غضب ونزق :

ـ أتهزأ حتى بالشهداء الابرار ! ولكن اطو لنا هذا الحديث فاخشى ان يجرنا الى جدل غير محمود . أنت دائما لا تصدق ما أقوله .

ويجيبها ببرود :

ـ والله اني لا أهزأ . ومتى كنت لا اصدق ما تقولينه ولكني استغرب ما سمعته منك . فأنا اعتقد تماما بأن الرجال الذين يجودون بالسيارات الفخمة على الحسناوات مثيلاتك في الظروف التي كانت تجتازها فلسطين قلما يجودون بأرواحهم من اجلها ، فصاحبك هذا على مايبدو نسيج وحده ولذا فأنا استمطر على روحه شآبيب الرحمة .

قالت :

ـ يا الهي ! انت دائما غيور لا تستطيع ان تخفي شيئا مما يتأجج في نفسك . دعنا من حديثه .

فقهقه ضاحكا ثم قال :

أنا غيور !! ما كنت والله لاغار من اصحابك الاحياء فما قولك بالأموات منهم ؟ ان الرجل الذي يثير غيرتي لم يخلق بعد ، ولن يخلق .

قالت بدلها المعهود :

كم يعجبني غرورك ويستهويني .

وكان جوابه لها قبلة صك صوتها مسمعي ، واحدث في رأسي دويا وفي يدي اضطرابا . واخذت اشعر برغبة ملحة في ان اسدد ضربة شافية لهذا الثقيل تهشم اسنانه . ولكن لم هذا التجني ؟ ألأنه نطق بالحقيقة ألم أكن في الواقع واحدا من هؤلاء المتهاونين الذين قصروا في حق فلسطين ولم يؤدوا ما عليهم من دين لها ؟ ألم أكن أعيش على هامش الحياة لا أبالي بكل ما يجري حولي ، متفرغا لنفسي وللذاتي التي لا حد لها ؟ !

وانتبه فجأة فاذا انا اقود السيارة على غير هدى ، وكأنها قد جمحت بي ، فاذا انا اسير في طريق مظلمة ما أدري والله كيف انتهيت اليها وقد اضعت اسم الشارع الذي سماه لي الرجل وهو يركب السيارة . وانا في حيرتي هذه ينتبه الرجل ايضا فيصرخ بي قائلا :

ـ العمى يعميك ! اما حمار بليد ! الى أين انت ذاهب بنا ؟ ...

واشعر بدمي يفور ويصعد مرة واحدة الى رأسي . واجزم ان لم أحسن الهرب بأسرع ما يمكن فأنا مقدم على أمر فظيع . ودون أن أفوه بكلمة أوقفت السيارة ونزلت منها بسرعة وصفقت بابها بكل ما لدي من قوة واسرعت الخطى وتواريت في منعطف مظلم ، وتركتها حيث هما يصخبان . ليحدث ما يحدث ، ولتهو السماء على الارض . لم اعد احتمل اكثر مما احتملت واخذت أهيم على وجهي في الظلام ، تصطرع في نفسي شتى الاحاسيس كأنني كنت في سبات عميق ثم صحوت منه فجأة . وثار ضميري كأنه مارد عملاق أخذ يؤنبني كأشد ما يؤنب الضمير . كيف خرجت من بلادي ؟ كيف رضيت هذا الذل والهوان ؟ ولم لم ارو ارضها الطيبة بدمائي والم لا اعود اليها ؟ ولم ادر كم بقيت على حالي هذه ولكني اذكر اني مع اشراقة الفجر وجدتني وقد رسمت لنفسي هدفا لن أحيد عنه ابدا .

العودة او الموت ! واخذت اشعر بالراحة والاطمئنان يسريان في نفسي . وان آفاقا نيرة قد امتدت امامي الى ما لانهاية . وان عزيمة عجيبة تنفجر في كياني ، استطيع الآن ان اتخطى الصعاب واقتحم المهالك . فما اروع ان يكون للانسان هدف نبيل يسعى اليه . في أي

البقية على صفحة ـ ٥١ ـ



عماد التكريتي

في محاولة كتابة موضوع علمي وتحديد معاني للكلمات المراد استعمالها كوسيلة للتعبير عن هذا الموضوع – يجد المرء نفسه امام مشكلة تحديد مفاهيم ومعاني تبدو لاول مرة سهلة ، الا انه عندما يحاول علاجها وتعريفها يجد انها من الصعوبة بمكان وان التعريف الذي يجب ان يكون في مقدمة الموضوع ينتهي بأن يكون في آخره . وتزداد هذه الصعوبة عندما تهبط الكلمة من برجها العلمي الى الجمهور فيستعملها هذا كما يريد وفي معاني قلما تكون قريبة من المعنى الاصلي الذي وضع لها . فيصبح تحديدها وتعريفها يتطلب مجهودا اكثر مما لو احتفظت هذه الكلمات بالوسط العلمي الذي نشأت فيه . وفي هذه الفترة التي انتشرت فيها كتب علم النفس المبسطة التي كتبت وهدفها الجمهور الاعظم من الناس ، انقسمت هذه الكتب الى قسمين كبيرين منها ما هو علمي ومفيد ومنها ما هو سطحي سخيف كتب بقصد التجارة البحتة بعناوين استعملت فيها وسائل الاغراء « ليسيطر التاجر » على قلوب القراء الذين يريدون ان يعرفوا شيئا عن نفسيتهم فاذا بهم امام كتب سطحية لا تؤدي رسالتها ولا تتضمن الغرض الذي ابتاعه القارىء من اجلها . فلا تحديد لمفاهيم ولا تعاريف علمية صحيحة لذلك نجد ان اكثر كتب علم النفس منتشرة بين الجمهور وبمفاهيم خاطئة ، وانه كلما ازداد استعمال الكلمة في اوساط الاشخاص غير المختصين كان من الصعب تحديد معناها بالدقة .

لذلك نجد انه من الضروري التريث قبل البدء في تعريف معنى كلمة « عقدة » ومعنى كلمة « تفوق » .

صحيح ان هذا الاصطلاح غير منتشر كثيرا كزميله « عقدة النقص » الذي نراه مستعملا حتى في احاديث الناس عن بعضهم ، فكثيرا ما نسمع « فلان معه عقدة » او معه « عقد » وتقال هذه الجملة او هذه الكلمة وكأنها اصبحت صفة من صفات الانسان ، كأن نقول مثلا ان فلانا اعرج ،

ان كل هذا يدفعنا الى تأجيل تعريف عقدة التفوق الآن وسنحاول تحديد وتعريف هذا الاصطلاح في نهاية البحث الاول وبعد ايجاد بعض ملاحظات وضعية وذلك بعد ان نكون قد حاولنا عرض رأي الفرد ادلر صاحب المذهب الفردي ، وسيغموند فرويد ، صاحب مدرسة التحليل النفسي في الموضوع .

ان دراسة عقدة التفوق يتطلب منا دراسة عقدة النقص ايضا لانه كما يقول ادلر في كتابه « علم الحياة » : « ان بين العقدتين صلة طبيعية » و : « تتفق عقدة النقص والتفوق في انهما توجدان على الدوام في الجانب غير النافع في الحياة » .

لذلك نجد انفسنا مضطرين الى عرض عقدة النقص وبايجاز وبقدر علاقتها مع عقدة التفوق ثم نحدد معنى عقدة التفوق والاخطار الناجمة عنها من **الناحية المرضية** .

اننا سندرس عقدة التفوق على انها مرض ، ونتتبع نشأتها مع النبتة الاولى للفرد ، وأعني بذلك دراسة فترة الطفولة مستعينين بالتحليل النفسي وبرأي ادلر في الموضوع ومحاولين اختيار أمثلة درسها بعض علماء النفس .

وبما ان **السلوك** الذي يقوم به الانسان المصاب بهذه العقدة ليس الا رد فعل لما نشأ عليه منذ طفولته ، ولما اوحته النبتة الاولى اليه ، لذلك لا شك انه من الضروري النظر الى الانسان ككل ودون تجريد هذه العقدة ودراستها بمفردها .

هذا وسنتبع المنهاج التالي في هذا الموضوع :

١ – آ – ملاحظات وضعية :

اين توجد عقدة التفوق ومتى توجد – في اي نوع من الافراد – في اي نوع من الفئات والطبقات ... في الفرد الواحد نفسه – في أي الاوقات –

مثال – ١ – عند وجود امكانية .

مثال – ٢ – عندما يكون في بيئة وفي مركز اعلى منه .

مثال – ٣ – عندما يكون امام موظف اعلى منه .

مثال – ٤ – ظهور العقدة في السلوك الشخصي .

ب – تعريف :

ب – العقدة كما يراها ادلر – عن كتاب : تفهم طبيعة الانسان .

٢ اسبابها : ثلاثية السبب : (اصطلاح موقت)

١ – سبب جسمي .

٢ – سبب اجتماعي : تأثير المجتمع على الفرد .

٣ – سبب نفسي : تأثير الحوادث النفسية على الفرد .

٣ – مقارنتها مع عقدة النقص : تأثير احداهما في الاخرى

٤ ـ عقدة التفوق كحالة مرضية وتأثير الامراض الاخرى عليهـا .

امثـلة ...

٥ ـ العلاج :

١ ـ علاج جسمي .

٢ ـ علاج اجتماعي .

٣ ـ علاج اقتصادي .

٤ ـ علاج نفسي : التحليل النفسي .

آ ـ ملاحظات وضعية

اين تنمو الامراض النفسية ، سؤال ولا شك بأنه غريب ، لانها تنمو في كل بيئة الا ان « كميتها » قد تختلف من بيئة الى اخرى . فالاشخاص المصابون بهذه الامراض هم علميا كالاشخاص المصابين بالامراض الجسدية ، بحاجة الى العلاج . ويتطلب هذا العلاج وجود اخصائيين تمكنوا بعد دراستهم الفاعلية النفسية من النظر في هذه الامراض . وعندما نفتش في بيئتنا يلاحظ المرء اول الامر ندرة هؤلاء الاخصائيين . فهل يمكننا القول بأن السبب هو ندرة هذه الامراض في بلدنا ؟

طبعا لا ...

فالاشخاص المصابون بالامراض الجسدية قلما يفكرون باستشارة الطبيب « لغلاء سعر الفحص الطبي وتكاليفه » اولا والجهل ثانيا . الا بعد ان يكون المرض الجسدي قد استفحل امره . وكذلك لا يفكر المريض نفسيا باستشارة الطبيب النفسي لانه يجهل اصلا وجود حالة مرضية لديه . وخصوصا اذا كان الشخص مصابا بعقد .. وعقدة التفوق على الاخص .

ان عدم وجود الاخصائيين في بلدنا لا ينفي وجود الامراض . الا انه يشير الى ندرتها تقريبا اذا قيست بالامراض الموجودة في المدن الكبرى الامريكية مثلا حيث يعتقد كل فرد بأنه يرغب ان يكون ايزنهاور ... وان المركز الذي يحتله ايزنهاور وهو واحد وان الشعب مؤلف من ملايين .

لذلك لا شك بان الامراض النفسية تجد لها تربة صالحة في البيئة المعقدة اكثر مما تجدها في البيئة البسيطة التي يعيش فيها الانسان ضمن مشاكل محدودة واننا اذا خرجنا خارج دمشق مثلا وعشنا قليلا مع الفلاحين نجد ان مشاكلهم البسيطة تبعدهم كثيرا عن الامراض التي تتحدث عنها الالوف من الكتب . فالضروريات النوعية والاساسية مؤمنة لديهم . فالفرد يتزوج باكرا ويعمل اعمالا قاسية نسبيا لذلك ليس لديه الوقت الكافي ليفكر بنفسه كثيرا ويشغل تفكيره بأمور بعيدة جدا عن ادراكه .

لذلك نجد انه لا بد من اختيار نماذج من الاشخاص المصابين بعقدة التفوق من بيئة اجنبية ، وذلك لان معلوماتي لا تسمح لي بالحكم وانتقاء اشخاص من بيئتي القريبة . ونبدأ بدراسة نموذج اورده الدكتور ر.س. ماركورث ، الذي يعالج عادة امثال هذه المواضيع في مجلة « سيكولوجيست » .

لقد سمع كل منا عن العقدة المسماة عقدة النقص ، وان اخصائيي الامراض النفسية يشكون دائما بأن المرضى الذين يعالجونهم مصابون بهذه العقدة .

ومن الغريب جدا ـ يمكن لاحدنا ان يقول بأنه ليس هناك من يدعي بأنه يشكو من « عقدة التفوق » والسبب بسيط ولا شك .

ان الشخص الذي يشكو من عقدة التفوق قلما يتألم منها . ان أصدقاءه او عائلته هم الذين يتحملون هذه الآلام .

ان الآنسة « س » مثال جيد لدراسة هذه الحالة . انها تعمل في مكتب كسكرتيرة للمدير ويلاحظ انه ليس هناك من يستطيع ان يناديها باسمها الشخصي فقط . وحتى في حفلات الرقص . انها تبلغ من العمر الخامسة والثلاثين ، طويلة ذات مظهر جذاب ولا بأس به ، انها جذابة بوجه الاجمال ، عدا نظراتها المؤلمة المعبرة عن نظرة فيها شبه احتقار للآخرين . النظرة التي تبدو على وجهها .. نظرة اصبحت وكأنها من عاداتها المتأصلة في نفسها .

انها تضفي على المجلس الذي تجلس به شيئا من الوجل ، بالنسبة للآخرين الذين لا يشعرون بحريتهم معها .

ان المدير لا يدري ما يعمل بدونها في الواقع ، انها تضع افكاره الغامضة في رسائل متقنة ، انها تذكره بجميع مواعيده ، وتخلصه من الاشخاص الذين لا يرغب بزيارتهم ومن التلفونات غير الضرورية .

نعم ان ... الآنسة س هي (جوهرة) كما يقول المدير وهو يبتسم :

« ولكن على أي حال انها غريبة في بعض الاحيان ، فعندما كانت في النزهة مع الذي يعمل معاونا للسكرتيرة ـ ويعمل عوضا عنها ببعض الاحيان ـ كانت تتصرف بتصنع . الا انه من المضحك هنا انها نست في هذه المدة ان ترسل تلك الرسالة وجعلت مواعيدي في حالة يرثى لها من الاختلاط ولكنها تستطيع ان تلاحظ النكتة ، وهي تحاول دائما ان تبدو مرحة وبشوشة » .

لقد كان المدير ـ في السر ـ كغيره من معارف الآنسة س ... كان يخاف من هذه المسكينة .

لماذا نقول ان الآنسة س ... مسكينة ... ان الآنسة نفسها ستغضب وتثور عند سماعها هذه الصفة . انها

تعتقد في نفسها انها من طبقة اخرى ، غير طبقة هؤلاء الذين يعملون في المكتب او خارجه .

من اجل هذا كانت تعتقد انه يجب ان **تكون محسودة** من الآخرين . لقد تربت وهي تعتقد ان الناس الممتازين هم طبيعيا سعداء . وفي طريقة ما جعلت نفسها تعتقد انها من الممتازين . بل انها اكثر امتيازا من هؤلاء الذين يحيطون بها .. انها تعتقد انها افضل خلقا من البعض ، اكثر اخلاصا للعمل من غيرها ثم هي اكثر ذوقا وحساسية من الباقي ...

في بعض الاحيان تعتقد ويستولي عليها شعور سيال عن عدم الارتياح .. شيئا ما تفقده اثناء العمل ويكاد يضيع مركزها في المكتب ويسيء الى عشها في المنزل .. غريب ...

لا يبدو السرور على وجه احد عندما يشاهدها ... يحييها الناس مع شيء من الفارق انهم لايحيون اصدقاءها بنفس الطريقة ، ويغلب على اصدقائها الصمت عندما يكونون مسترسلين في الحديث وذلك بمجرد قدومها . ولقد كانت تأخذ ورقة يانصيب بناء على طلب البعض ولكن لا يمر عليها احد ليسألها عن نتيجة الورقة .

ان اختها المتزوجة تزورها مع ابنتيها الصغيرتين اللاتي يناديونها باحترام زائد وكأنهم ينادون جدتهم مثلا ويشكرونها باحترام زائد وكأنهم يخاطبون شخصا غريبا .
انهم يشكرونها باحترام زائد على هداياها ولكنهم كانوا يحذرون القفز على حضنها واللعب بشعرها أو معها ....

كانت من صميم فؤادها تتمنى ان تضمهم الى صدرها وتقبلهم بوله الا ان معاملتها للاطفال كانت لا تزال مصطنعة وغير طبيعية لديها .

« ان الانسان لا يستطيع ان يكون على عكس ما تنطوي عليه نفسه مع الاطفال فاذا كنت لا تستطيع ان تحمل الطفل داخل نفسك وتشعر معه انه يريد ان يلعب ويركض ويلهو .. من الصعب جدا ان تجامله الى وقت كبير »
ان الآنسة س في الحقيقة تخاف من الاطفال ان البعض يمكن ان يقول لان الاطفال يعيشون على سجيتهم وهي لا تعيش كذلك ...

ربما ...

الا انه بالتأكيد .. ان الآنسة س لا تزال في قرارة نفسها طفلة .

ان العناصر الموجودة في الطفولة مدفونة منذ زمن بعيد في قرارة نفسها في زاوية بعيدة من زوايا عقلها .. زاوية مهملة جدا وذلك كما يفعل البعض عندما يضعون طفلا شريرا في الزاوية الا انهم يخافون ان لايبقى هذا الطفل هناك اذا شجعه على التحرك اطفال آخرين .

وفي الواقع ان المراهقين كالآنسة س لم يتطوروا في النمو بالمعنى الطبيعي للنمو . يستطيع المرء ان يصف امثال الآنسة س بأنها احدى هؤلاء الذين يحملون معهم في سني المراهقة ، طفولتهم .. انهم كالطفل الذي يجد حوله اشخاصا كاملي النمو ويدعي بأنه مثلهم . ان هذا الطفل عندما يبلغ سن المراهقة يحمل معه طفولته عوضا عن اهداف واضحة نحو حياة سليمة .

نعم .. انه بالرغم من كل الجهود التي لدى الآنسة س لتكون متفوقة على غيرها ... لا تشعر في قرارة نفسها بالاطمئنان . انها قلقة تخاف دوما ان تعمل أي غلطة كي لا تعامل معاملة خاصة تشعرها بضعف تفوقها معاملة الاشخاص للاطفال . **انها تريد ان تكون في عظمتها طوال الوقت :** لانها عاملت الطفولة التي في نفسها باحتقار شديد وهي تخاف ان يعاملها الناس بالمثل .

لذلك نجد ان الآنسة س دوما في حالة قلق شديد نتيجة لمحاولتها التفوق الكاذب على اقرانها » .

ولنأخذ مثلا آخر ولنتأمله ....

ان السيد « هـ » ـ نام اكثر من اللازم ـ كان نموذجا لطالب المدرسة الذي يعتقد انه افضل من جميع الذين حوله لما له من مزايا عقلية ومطالعات عظيمة انه ينظر الى اقرانه نظرات خاصة .. هؤلاء (البرابرة) الذين حوله والذين يعيش معهم .

كانت عيناه زرقاوين كعيون والدته ، ولسوء الحظ كان زواج والدته زواجا غير سعيد ، ومن عهد بعيد كان يعتقد انه دائما مع والدته وكان لا يحب بل يحتقر والده ـ القميء البشع ـ

لقد كان شقيق السيد ـ هـ ـ متفوقا في الناحية الجسمية .. فكان رياضيا بارعا الا ان ـ هـ ـ لا يعترف لاخيه بهذا لانه كما يدعي متفوق على اخيه من الناحية العقلية والدينية .

لقد بلغ هـ من العمر الثامنة والعشرين الا انه في سن الخامسة والعشرين قرر ان يتزوج لاعتقاده بأن الزواج

يتمم الرجولة واختار امرأة اكبر منه سنا شبيهة بوالدته الا انه اكتشف انه غير اهل للزواج منها .

كانت فكرته عن العلاقة بينه وبين المرأة هي مجرد شعور الطفل نحو امه التي تدلله .

كانت طريقته في مواجهة الصعوبات هي التكلم بصوت مرتفع ـ الصراخ ـ ليرغم زوجته ووالدته على معاملته معاملة الاطفال .

ولم يستطع ان يدرك هذا الا وهو على كرسي التحليل بعد مدة طويلة .. ان السبب هو في طريقة معاملة والدته له اثناء الطفولة .. لقد ظن هذا من خلال احلامه وتداعي افكاره . او من الذكريات التي ظهرت من خلال استجوابه ذكريات كانت منسية منذ زمن طويل وظهرت فجأة في ذاكرته ..

ان الشعور بالخوف من ان يضحك علينا هو بادرة من اولا بالنسبة للمريض كي يدركه ، انها كالفارق بين الطفل الصغير المليء بالحياة ، والمراهق الهادىء الحزين الذي يكون ذا نشاطا ابطأ .

وكما قلت في مقدمة هذا المقال ان الشخص الذي لديه «عقدة تفوق» لا يشعر بها غالبا وانما يشعر غالبا بأنه لديه عقدة نقص لانه يخاف عادة من الحقيقة ..

هناك طريقة بسيطة لكي تمتحن نفسك ، افحص نفسك وانت مع الآخرين وخصوصا في فرصة لا رسميات فيها ، حيث تكون براحة تامة وتستمتع بالمزاح وتجد ذلك في الجو الطبيعي الذي يكون عادة في فرص كهذه . اذا كنت تشعر بأنك كئيب ومنطو على نفسك . من المحتمل ان تكون بعض بذور الطفولة مدفونة في بعض زوايا نفسك .

بعض الناس يخافون جدا من ان يعملوا اخطاء تكون مسببة ـ للضحك عليهم ـ هذه الاخطاء التي لا بد منها في طريق التعليم .. من الاكيد ان أي واحد اول ما يبدأ بتعلم لعبة كالتنس او كرة الطاولة مثلا يأخذ اوضاعا تثير الضحك ولكن من خلال المرور في هذه الحالات يستطيع المرء ان يسير في طريق الاتقان .

ان الشعور بالخوف من ان يضحك علينا هو بادرة من بوادر الخوف من الشعور بأننا نملك نقصا او بتعبير آخر انها الطفولة التي في نفسنا .

ان بعض الناس يكرهون الاعتراف بالجهل في اي موضوع كان ، والبعض الآخر لديهم شعور بالخجل من انهم لا يعاملون بنعومة كافية .

البقية على الصفحة ـ ٥٩ ـ

« عرض حال » ـ بقية ـ

وتحتضن الادباء .. وهذا سيساعدنا الى حد كبير ، لان شخصنا له صولات وجولات في هذا الميدان ! .. ـ طبعا على الورق ، وليس في ميدان آخر ـ

ان بقاءنا في درعا سيؤدي الى ضمور مواهبنا الادبية ، في حين ان انتقالنا الى دمشق ، سيساعد على تنمية مواهبنا المذكورة .. خاصة في ميدان عروض الحال ! ..

ان الاسباب التي عرضناها اعلاه ، تشكل الاساس المنطقي لنقلنا الى دمشق . ولنا ملء الثقة بأن وزارة التربية ستنظر اليها بعين الاعتبار ! ..

ولكن ، لما كنا نخشى الا تستجيب وزارتنا المذكورة لطلبنا المشار اليه .. فقد رأينا من الضروري ان نفكر في وزارات اخرى يمكنها ان تفيد فائدة كبرى من شخصنا الكريم ! ..

قلبنا كافة الوزارات ـ طبعا في الخيال ـ فوجدنا ان وزارة الصحة ، هي الوزارة الوحيدة التي يهمها امرنا الى ابعد الحدود . حيث نستطيع ان نكتب لها عروضا كثيرة في امتداح الادوية التي تريد ، وان نبين الناس اخطار الامراض . فاذا لم تستفد من عبقريتنا الفكرية في كتابة عروض الحال ... فاننا لا محالة سنكون كنزا لا ينضب من الوجهة الجسدية ـ حيث يمكنها ان تستخدم جسدنا المليء بشتى الامراض ، كمثال حي على السوء الذي يصيب المرء ، لاستهتاره بقواعد الصحة ! .. كما يمكنها ان تتخذ من جسدنا المذكور .. حقلا للدراسة والتجارب .

وبانتظار العروض المقبلة ، تقبلوا فائق الاحترام والتقدير ـ

الكاتب

ع ـ ع ـ ع ـ ٣ ع ـ ع ٣

درعا ـ محمد حيدر

من « جمعية الادباء العرب »

الصيف والمأساة ـ بقية ـ

ـ والتشكيلات ...؟

ـ راجعونا ...

هذا هو اليوم السادس على التوالي الذي اراجعهم فيه ـ لم تصدر بعد ... راجعونا ...

انا على يقين من انها ستصدر مهما تأخرت ... سمعتهم اليوم يتحدثون عن انعدام الشواغر في مدارس المدينة ... لايهم ... ان أية مدرسة من مدارس القرى ستكون قادرة لان تخنق في بطنها المأساة او تخفف من حدتها على الاقل .. سأذهب الى هناك ... ستملأ المدرسة فراغي ... لن افكر بشيء ... وان فكرت ففي المآسي الصغيرة التي يضج بها بيتنا ... وبطبيعة الحال ان يفكر الانسان في الشيء خير له من ان يضيع في قلب هذا الشيء .

اللاذقية ـ سليم زهدي

الادب الشعبي – بقيـــة –

ان الذين يدافعون عنها ويهاجمون اللغة العامية ويحاربونها، هم انفسهم لا يستعملون غيرها في احاديثهم ، لا لشيء الا لانها لغة الشعب التي يفهمها الشعب . وهنا يطيب لي ان اورد مقطعا من محاضرة لفيلسوف معاصر القاهـا في مؤتمر الادباء العرب الذي انعقد بأيلول عام ١٩٥٦ والتي يبحث فيهـا هذا الموضوع يقول : « ... فما هي هـذه اللغات التي نتفانى في الحفاظ عليهـا والتعصب لها ؟؟ ونعتقد ، أنها من مقومـات الحياة ؟ أليست جميعها الفاظا موضوعة بشرعة بشريـة ، لاجل نقل الفكر مـن المتكلم الى السامع ؟؟ ما هي الكتابة بالعربية او اللاتينية ، بالصينيـة او الاوردية وغيرها ؟ أليست جميعها اساليب كخربشة الدجاج ، لتسجيل الالفاظ ؟ أو ليس التكلـم بلغـة ما ، بالنسبة لمن يجهلها ، كنقيق الضفادع ومـواء السنانير ؟ فهل يتعصب المفكرون للثوب المتغير أم الفكر الثابت ؟ وهل يدعون الناس للاخذ بهذه الحقيقة ، فبدلا عن حشو ادمغتهم بقواعد والفاظ لا طائل تحتها ،يحشرونها بالعلوم والفنـون ، التي لا نهاية لها ولا حد لفائدتها ؟ » .

وليس معنى هـذا ان نطرح لغتنا الفصحى جانبا ، بل يجب ان نرتفع بلغة الزجل عن المستوى الادنى فتصبـح وسطا بين الفصحى المبسطة ، والعامية العالية ، وبهـذا نكون قد وفقنا بين اللغة الواحدة خاصها وعامها .

محمد نذير الحلبي

العـــودة – بقيـة –

مهمه كنت أعيش ؟ ! وكيف اضعت ما اضعت من عمري في لا شيء ؟ !

وقادتني قدماي دون وعي مني الى البيت الحقير الذي كنت أسكنه وأختي . كان ضوء خافت ينبعث من غرفتها فأدركت انها ما زالت ساهرة تنتظر عودتي ..

ولما رأتني قالت لي ذاهلة :

– انت على غير عادتك . ماذا حدث لك ؟ قل لي لاتخف عني شيئاً ، هـل اصاب سيارتك حـادث ؟ هل دهست أحـدا ؟

ولم استطع الكلام فألقيت رأسي على كتفها واجهشت بالبكاء ، واخذت هي تبكي معي وتهدهدني كما يهـدهـد طفل صغير ، ولما سكن جاشي واستطعت الكلام قلت لها :

– انا الآن يا أختاه غير ما عرفتني بالامس ، سأعود الى بلادي ، وسأكون واحدا من هؤلاء الفدائيين الذين ينغصون عيش الغاصبين ، ويقضون عليهم مضاجعهم وامامهم هدف لن يحيدوا عنـه ابدا – العودة او الموت – والتدبري انت أمرك . قالت جازمة : لا لا . سأكون أنا ايضا الى جانبك. ألا مكان بينكم لمن يردن العودة ؟ ؟

قلت : – كيف لا ؟ اذا شئت هناك مكان لكل فلسطيني بل لكل عربي رجلا كان ام امرأة ، شيخا ام طفلا .

ورأيت بريقا من امل يشع من عيني أختي الخابيتين وضحكة مشرقة تنير وجهها ، أختي التي لم تضحك ابدا منذ أصبحنـا لاجئين ...

درس لا ينسى – بقيـة –

على ولائه بهذه القرية ؟ ..

وارهف السمع الى هاجس يوسوس له : انها ليست مكيدة .. انهـا دعوة ياغبي ، انها تدعوك بعد ان علمت بمجيئك ، انها تحبك ، وتدعوك الى ... بيتها !

ووجد عينيه تتفحصان (رزنامة) حائط المقهى المتآكلة، فوجد ان اليوم هو يوم الاحد !

اذن ! .. غدا يكون الاثنيـن ؟ وما بعـد .. ؟ الساعة الرابعـة .. !

وتضاحك خلسة ، واعترته نشوة ، وانتابه حنين الى سلمى ، وغلت دماؤه ، سلمى الخبيثة التي أحسنت دعوته بهذه الطريقة فنال جزاءه من الشتم والضرب مقدما !

وفي اليوم التالي ، يوم الاثنين ، كان يختبيء في مكان قريب من حديقة منزل الشيخ محروس ، وكان المطر قـد انقطع تنطاله التو فجلس القرفصاء ، بعيدا عن أعين الرقباء !

ولم يكن عسيرا على سلمى التي افتعلت حادثة المقهـى أن ترسل الشيخ الوقور في زيارة لبيت أهلها في اطراف القرية .. وكاد وصفي يطير فرحـا وهو يشاهد الشيخ محروس يخرج من البيت في اتجاه طريق البيدر ، مـع أوبـة أولاد المدرسة لمنازلهم .. وان هي الا لحظـات ، حتى كان يتسلق جدار الحديقة كاللص الحذر ، وتسلـل من النافذة الكبيرة ليجد الصدر الناهد ، والجسم اللدن والثغر القرمزي الشهي بانتظاره .. فيسكب مشوقـاً اللهب المسكر في الشفاه الظامئة ، وتمضي ساعة .. ساعتـان ، وهما غارقان في نشوة من الحب لا قبل لهمـا بمثلها .. نشوة طاغية عارمة هدت حيل سلمى ، وهدهد شوقها المجنون الى الرجل .. الى وصفي !

* * *

وحين كان الشيخ محروس عائدا الى منزله وقد ارخى الليل سدوله ، وكانت قرقعة عكازه فـوق الحجارة والجدران تعلن عن قدومه ، بعد ان مكث لدى اهل سلمى يحدثهم عن أخلاق زوجته الصالحة ، وانها نموذج لشرف الزوجة الطاهرة ، ويشيد بمآثرها واخلاقها .. كان وصفي يعود من النافذة الى المقهى نشيطا دافئا ، موفور السعادة يترقب الساعة الرابعة من بعد ظهر كل يوم اثنين !

ويدخل الشيخ بادي الانشراح رغم قشعريرة الشتـاء ، ويقبل على زوجتـه الغارقة في سباتها فوق سريرها .. ويقول لها ملامسـا بأنامله خدها المتضرج :

– أهلـك يحيون الشمعة الطاهرة المضيئة ، ويهنئونك على الـدرس الذي لقناه لوصفي .. لقـد كان درسـاً لا ينسى !

دمشق – عبـد الله الشيتي
من جمعية الادباء العرب

من زاويتي

الصهيونية ومؤتمر الاديان الدولي

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

« رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب وعضو المؤتمر الدولي الثامن والتاسع لتاريخ العلوم والواحد والثلاثين للكيمياء والصناعة »

انعقد مؤتمر الاديان الدولي في بريمن في خريف عام ١٩٥٧ وتابع انعقاده في طوكيو في صيف العام الماضي وحضر لهذا المؤتمر ممثلون من مختلف البلدان العالمية وكان الاعضاء يهتفون بضرورة تقارب الاديان وتفاهمها حبا بالاخاء الانساني والسلام العالمي ، وكان في طليعة الخطباء في هذا المؤتمر الاستاذ فردريك هايلر فتكلم عن وحدة وتعاون الاديان ، لان الاديان كلها تهدف لغاية نبيلة سامية وسبيلها الاشادة بالفضيلة ومحاربة الرذيلة جهد المستطاع ، يجد الاستاذ ذلك في الديانة المسيحية والاسلامية والبوذية والكونفوشية وباقي الاديان ، وقد مضى دور التعصب واتى دور التفاهم والتقارب ، حتى انه يجد ان بعض التعاليم في بعض الاديان تكون بعينيها في الاديان الاخرى ، ويشير بأن الديانات العالمية الكبرى تكون من خصائصها وسعة الصدر ونبل القصد مع حكمة في الاسلوب .

تكلم بعد ذلك اميل انجلها رد عن رابندرانات تاغوره ووحدة الاديان ، وبين ما لهذا الحكيم الهندي من عمق في التفكير ووسعة في الادراك ، فاذا نظرنا الى اللب والجوهر ، سهل علينا ان نجد الهدف المشترك .

ومن ثم تكلم ايضا ماكس هوب عن وضع البوذية تجاه الاديان الباقية وبين انها ترمي لان تعيش مع جميع المذاهب والعقائد بسلام واخاء ايضا .

وكان لكلمة السيدة انا ماري شيمل من تأثير عميق لما ابدته عن مساهمة الصوفية الاسلامية في وحدة الاديان وسردت آيات قرآنية واحاديث نبوية واقوال مختلفة من الاتقياء والمتصوفين الاسلاميين المختلفين .

ولا يوجد ما يعكر الصفو غير خطاب ذلك الممثل اليهودي مساهمة اليهودية في وحدة الاديان ، ان ظاهر خطابه فيه الرحمة ولكن باطنه من قبله العذاب .

لقد بين ما في الكتاب المقدس من اهداف سامية نحو وحدة الاديان وذكر ما للفيلسوف فيلو – الذي عاش في القرن الاول للمسيح – في التأليف بين الفلسفة اليونانية والديانة السماوية التي كانت اساس الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى في الاسلام والمسيحية فيما بعد ، ومما بينه افتراء على الحق ان الصهيونية لا تتعارض مع وحدة الاديان ، لان اليهود هم اول من حمل فكرة الايمان للعالم ولذلك فانه يرى لمن الضروري ايجاد وطن قومي لهم يكون حصنا وموئلا .

وقد كدرني هذا التناقض وهذا الدس في مثل هذا المؤتمر الذي يهدف الى ذلك الهدف مما حدا بي ان احرر كتابا للرئيس هذا مآله :

« لقد اطلعت على نشرة محاضرات مؤتمر الاديان وقد هزني هزا عنيفا الغاية النبيلة والمعالجة الحكيمة من جميع الاعضاء ، بيد اني وجدت تناقضا لا اجد له تفسيرا كيف تتفق وحدة الاديان السامية والدعاية الصهيونية السائلة ، أفلا يدري العالم الاوروبي والامريكي ما اقترفته الصهيونية العالمية من الآثام باغتصاب جزء كبير من ارض فلسطين وتشريد مليون انسان وجعلتهم بلا مأوى ، فهل يرى رجال الدين ان هذا عملا يرضاه الله والمثل الاعلى ، ولا يعلم احد على ما يظهر كيف يعيش هؤلاء المشردون ؟

كانت فلسطين مهد الديانات العالمية الثلاث يعيش سكانها مع بعضهم بعضا بسلام حتى ظهرت الصهيونية فبدلت الامن خوفا والاستقرار قلقا وتشويشا فأفسدت هذا الجو القدسي الهادىء ، ان المسلمين والمسيحيين

يعيشون مع بعضهم بسلام ولو ان الصهيونية المجرمة لم تتداخل بالامر لعاش اهل هاتين الديانتين المذكورتين مع اليهود بسلام ايضا ، ولاشعت هذه الديانات النور والتفاهم للعالم لانها جميعا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالتعاليم الاخلاقية السامية .

لكن الحقيقة مع الاسف غير ذلك والسبب في هذا دخول الصهيونية الى هذه الارض المقدسة ، وان العرب مدوا ايديهم للعيش مع اليهود ولكن الصهيونية ابت ذلك حبا بالسيطرة والاستيلاء وعبادة العجل الذهبي ، ان عداوة الصهيونية التي اصبحت اصيلة في العالم العربي وبين شعوب آسيا وافريقيا هي بفضل مطامع اسرائيل الاثيمة التي اساءت الى ابناء دينها اكثر مما اساءت الى العرب ، ارجو ايها الرئيس الكريم ايصال صوتي الى من يلزم ايصاله حبا بالحقيقة وبالمثل الاعلى الذي يسعى اليه المؤتمر ، فاذا كانت اعمال الاجرام الاثيمة تبارك باسم الدين فأي سلاح ضد هذه الجوهرة الثمينة لم يستعمل ؟

هذا هو مآل ما حررته الى رئيس المؤتمر ، وهكذا يظهر لنا ان اسرائيل والصهيونية تندس في كل فرصة من الفرص وتقلب الحقائق بالاباطيل وتستغل كل فرصة للدعاية لها ، وهذا يضطرنا بأن نكون يقظين ولا نترك لمثل هذه الفئة ان تنفرد في وجودها في المؤتمرات الدولية ، وعلينا ان لانتخلف عن الحضور لنبين للعالم حقنا الصريح من اجل الحرية والتعايش السلمي مع جميع الامم والشعوب ، ان الصهيونية تتربص الدوائر وتريد ان تؤثر على الراي العام العالمي وتجعل من الرذيلة فضيلة ومن الباطل حقا ، واذا كان العالم في غفلة عن مثل هذه الالاعيب الشيطانية اللعينة فيلزم ان لايفوتنا تبيان الحقيقة للعالم ولايقاف طغيان هذه الحركة عند حدها ، نحن نريد التفاهم على أن تحترم حقوقنا ولا يغتصب شبر من اراضينا والسلام .

دفاع عن الفلسفة – بقية –

شاء احد النظارة ان يلهو وكان في حوزته جوز القاه في حلبة الرقص ، وما ان شاهدته القردة حتى نسيت الرقص ، وعادت الى طبيعتها الاولى قردة بدل راقصين ، فحطمت خوذها ، ومزقت ثيابها ، وتقاتلت من اجل الحصول على الجوز ، فاختل نظام ، الرقص وراح النظارة يضجون بالضحك .

* * *

هكذا – ايتها الفلسفة – فعل هؤلاء الفلاسفة الذين سخرت بهم ، ولن ابرح البتة حتى اميط اللثام عنهم ، وانزع الاقنعة التي يتقنعون بها ، واظهرهم للملأ على حقيقتهم ...

اما بالنسبة اليك انت ، والى من هم على غرارك فثمة في الحقيقة فريق منهم جاشت نفوسهم بصدق الحماسة، وفورة الاندفاع نحوك ، وما برحوا امناء لقوانينك حراصا عليها ، وانه لمن جنون القول ان اتعرض الك ولهم بكلمة قدح او سوء ، اذ ماذا عساني ان اقول ؟ بعد ان رأيت ثمة شبها بين حياتك وحياتهم ؟ ولكن يخيل الي ان في وسع هؤلاء المخادعين الدجالين اعداء الآلهة ان يزدروهم ...

ألا اجيبوني انتم انفسكم ايها الفلاسفة : فيثاغورس وافلاطون ، وقريسيب ، وارسطو ما الهدف الذي وضعتموه نصب اعينكم من وراء صحبتكم فريقا من الناس ، وجعلهم شيعة لكم ؟

أثمة ادنى قربى او شبه بينكم وبينهم ، لكأني بهم يشبهونكم بالاله زيوس اكثر مما يشبه القرد هرقل كما يقول المثل ... ترى الأنهم ذوو لحى ، ويتكلمون كالفلاسفة امن اجل هذا اضطروا ان يغدوا على غراركم ؟ لسوف اتحملهم ما داموا – في القليل – حريصين على تقليدهم، وظني ان الغراب قد يقلد غناء البلبل اكثر من تقليد اولئك الفلاسفة ...

ذلك – ايتها الفلسفة – ما اردت ان اقوله في دفاعي... اما انت ايتها الحقيقة فاستشهدي باقوالهم لتتأكدي من صدق اقوالي فيهم ! ...

دمشق   **سعد صائب**

من جمعية الادباء العرب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاقليم السوري

* قصفت يد المنون الغادرة حياة اديب كبير من أدبائنا وهو خليل مردم ، الرجل الذي اتصلت حياته بالمجمع العلمي في دمشق ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة وقد انتسب للاول عام ١٩٢٤ وللثاني عام ١٩٤٨، وكان عضوا في معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن سنة ١٩٥١ ، اهم المؤلفات التي تركها خمسة اجزاء عن آثار الادباء القدامى كالجاحظ وابن المقفع وابن الفقيه الصاحب ، وابن العباس والفرزدق .. وله دراسة قيمة عن شعراء الشام .

* جمعية الادباء العرب ، اكبر جمعية ادبية في الاقليم الشمالي ، افتتحت مقرها الجديد بحي العفيف فى دمشق ، حضر حفلة الافتتاح وزير الارشاد القومي والثقافة التنفيذي وامين عام الوزارة وكبار الادباء ورجال الفكر وسيدات المجتمع .

* عقدت جمعية الادباء العرب ايضا اول اجتماع لهيئتها العامة في المقر الجديد بحثت فيه تقسيم اعمال لجان الشعر والدراسات والقصة والمسرح ، كما قررت اقامة أمسية شعرية يشترك فيها شعراء وشاعرات الجمعية .

* الدكتور شكيب الجابري ، يخرج عن صمته الادبي الذي دام سنوات ، برواية جديدة رائعة قال المطلعون انها رواية من نوع جديد مثير .. اسم الرواية « ثلاث فارات صغيرات » ، انه يكتب فيها الآن الفصل الاخير .. المعروف ان للدكتور شكيب في المكتبات ثلاث روايات هي « نهم » و « قوس قزح » و « قدر يلهو » .

* بدأ البرنامج الثاني هذا الشهر من اذاعة دمشق ..

* أثارت قصيدة الشاعر نزار قباني الاخيرة موجة اعجاب في الاوساط الادبية ، اسم القصيدة « لوليتا » .

* القاص السوري فاضل السباعي ، ستصدر له دار المعارف في سلسلة اقرأ كتابا بعنوان « مواطن امام القضاء » .

* بلغ عدد المتخرجين في جامعة دمشق هذا العام ٧٦٢ طالبا بينهم ١٧٩ فتاة كان عددهم في العام الاسبق ٥٨١ طالبا .

* زار دمشق الامير صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة وتوابعها وهو شاعر معروف له ديوانان مطبوعان هما « الفواغي » و « وحي الحق » ، سيصدر له ديوان من الشعر الوطني بعنوان « اشواك » .

* لجنة خاصة تنادت لجمع وطبع آثار الشاعر السوري الفقيد عبد السلام عيون السود .

* الدكتور امجد الطرابلسي ، وزير التربية والتعليم التنفيذي سيكتب مقدمة لقصيدة الشاعر خليل الخوري « احزان سندباد » ، القصيدة تقع في ثمانمائة بيت .

* الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي عاكفة في دارها تعد أطروحة لنيل الدكتوراة ، الاطروحة في موضوع الشعر الحديث .

* لم تظهر الشاعرة الدكتورة طلعة الرفاعي في المجالس والحفلات الادبية .. منذ ان نجحت في انتخابات لجان الاتحاد القومي وقبل ان تأخذ اجازتها .

* ترجم عدنان ابن ذريل كتاب الديمقراطية للكاتب الانكليزي برتراند رسل ، وسينشره قريبا ..

* طلبت وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري النص الكامل للائحة التنفيذية التي اصدرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم الجنوبي حول موضوع تفرغ الادباء والفنانين لوضع نظام مماثل لما وضع في القاهرة .

* الدكتور محمد يحيى الهاشمي سافر من حلب الى برشلونة على نفقته الخاصة لحضور مؤتمر تاريخ العلوم الدولي .

* تصدر دار الوعي العربي في نهاية هذا الشهر مجموعة قصصية للقاص جان الكسان بعنوان « بئر السامرية » ، تقديم الاستاذ فؤاد الشايب .

* وتصدر نفس الدار مجموعة قصصية للقاص ياسين رفاعية بعنوان (الحزن في كل مكان) تقديم رجاءالنقاش.

* تفكر مديرية معرض دمشق الدولي في تحقيق فكرة انشاء جناح خاص لعرض الكتاب العربي تساهم فيه مختلف دور النشر والمؤسسات الثقافية في البلاد العربية.

* اعلن المركز الثقافي العربي في اللاذقية برنامجا ادبيا وفكريا سيطبق خلال شهر آب وفيما يلي البرنامج

١ ـ ٥ آب حفلة فنية يقيمها النادي الموسيقي للمغتربين

٢ ـ ١١ منه ندوة موسيقية يقدمها الفنان محمود عجان .

٣ ـ ١٨ منه محاضرة عن المغرب العربي يقدمها الاستاذ علي ياسين .

٤ ـ ٢٣ منه ندوة القصة يقدمها القصاصان سليم زهدي وخالد الشريقي .

٥ ـ ٢٨ منه حديث عن الريبورتاج الصحفي .

* يصدر ديوان الشاعرة السيدة عزيزة هارون خلال شهر تشرين الثاني القادم .

* جبرائيل سعادة عالم الآثار المعروف يعد بحثا تاريخيا عن مدينة اللاذقية بتكليف من وزارة الثقافة والارشاد .

* عزيزة هارون ومدحة عكاش يلتقيان قريبا في أمسية شعرية بمدينة اللاذقية .

* معرض للفنان ابراهيم هزيمة أقيم في الاسبوع الماضي في المركز الثقافي العربي باللاذقية .

* دخل التلفزيون مدينة اللاذقية . وتشاهد يوميا محطتا قبرص وبيروت بوضوح تام .

* يقدم النادي الموسيقي باللاذقية اربع حفلات على مسرح معرض دمشق الدولي بتكليف من مديرية المعرض .. وكان النادي الموسيقي قد قدم حفلة فنية ناجحة على مسرح سينما الحمراء في الشتاء الماضي .

* * *

من الاقليم المصري

* سقط ٢٥٠ مفكرا تقدموا لحل مشكلة الكتابة والقراءة باللغة العربية الفصحى ، كان مجمع اللغة قد اعلن عن جوائز مالية لمن يستطيع ان يحل الغاز هذه اللغة .

* قصة مريم العذراء والسيد المسيح كتبها احمد الفضيل في ملحمة زجلية تعتبر الاولى من نوعها ، اعتمد في ذلك الانجيل والقرآن .

* تصدر الادارة الثقافية بجامعة القاهرة الجزء الاول من كتاب (تاريخ الادب العربي) للمستشرق الالماني كارول بروكمان ، يعتبر هذا الكتاب موسوعة كبيرة في التراث العربي والاسلامي ..

* شرع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في وضع (قاموس الادباء المحدثين)

* بلغ عدد القصص التي أهملها التاريخ ونشرها حبيب جاماتي في المصور ٧٠٠ قصة ، قرر المؤلف أن ينشرها في سلسلة من الكتب يضم كل منها ٣٠ قصة ، ستزيد السلسلة على العشرين كتابا .

* تقرر انشاء جائزة سنوية للشعر باسم اميرالشعراء احمد شوقي ، تمنح للممتازين في فنون الشعر التي تفوق فيها شوقي .

* « ناصر في سبيل الكرامة » هذا هو عنوان الكتاب الجديد الذي ألفه ويلتون وين مدير وكالةالاسوشيتدبرس في الشرق الاوسط ، يقع الكتاب في مائتي صفحة .

* عبد الرحمن صدقي كتب مقدمة لديوان الشاعرة هيفاء الشنواني ، اسم الديوان « الطلاق » .

* ١٢ كتابا عن النبي محمد يكتبها الدكتور نظمي لوقا

* حسين القباني ترجم قصة « كوخ العم توم » ، وستصدر في مشروع الالف كتاب .

* زار القاهرة الدكتور محمد نظام الدين عميد دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد في الهند .

* المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، اوصى بتأليف لجنة تقوم بجمع كل ما قيل من الشعر في موضوع القومية العربية منذ اقدم العصور حتى الآن .

* يكتب الآن توفيق الحكيم رواية جديدة بعنوان « ايام في باريس » .

محافظ اللاذقية يفتتح المركز الثقافي العربي بمناسبة عيد الثورة

افتتح سيادة عبد الحليم قدور محافظ اللاذقية المركز الثقافي العربي وذلك بمناسبة العيد السابع للثورة. وكان المركز الثقافي العربي في اللاذقية قد استكمل بناء قاعة للمطالعة العامة وقاعة للاطفال وقاعة للموسيقى وقد زود جميع القاعات بالكتب القومية والادبية والاجتماعية التي تتفق مع سويات مختلف القراء . كما انه استحضر جميع الادوات الاذاعية اللازمة له في احياء الحفلات والمناسبات القومية . وقد حضر حفل الافتتاح رؤساء الدوائر الرسمية واعضاء الاتحاد القومي والادباء والشعراء ولفيف آخر من رواد المركز وبعد ان قص سيادة المحافظ شريط القاعة الكبرى حضر معرضا للرسوم أقامه المركز بهذه المناسبة للفنان ابراهيم هزيمة وقد عبر الجميع عن اعجابهم بفن الاستاذ هزيمة الفنان الشاب الذي مثل وجه الاقليم السوري في كثير من المعارض الناجحة والذي رافق وفدنا الفني الى غانا حيث اجتمع مع الدكتور نكروما واخذ له صورة زيتية بديعة استغرق في رسمها ثلاثة ارباع الساعة فقط .

وبعد ان انهى سيادة المحافظ طوافه في معرض الرسوم توجه الى مكتب مدير المكتب الاستاذ علي حاج بكري حيث سجل كلمة قومية رائعة في الصفحة الاولى من سجل المركز الذهبي قال فيها :

« بالرغم من مضي اقل من عام على افتتاح هذا المركز فقد حقق المركز الثقافي خطوة جدية بارزة الاثر »

وكان المركز الثقافي العربي قد اقام حفلة قومية وفنية بمناسبة العيد السابع للثورة تضمنت كلمة للشاعر الاستاذ علي حاج بكري مدير المركز وبعض الاناشيد القومية والرقصات التعبيرية . وتعتبر هذه الحفلة من الحفلات الناجحة التي احياها المركز خلال هذا الموسم .

ويقدم المركز الثقافي العربي في اللاذقية محاضرات وندوات ادبية وفنية بمعدل مرتين في الاسبوع . هذا عدا عن مئتين من القراء يرتادون يوميا قاعاته الثلاث .

والندوات ابتكار جديد قام المركز الثقافي بالدعوة اليها . فهو يدعو عددا من الشباب المهتمين بالادب والفن لمناقشة قضية معينة . حيث يشارك اثنان او ثلاثة من الادباء بحث القضية ، بينما يتولى الجميع مناقشتها كل حسب رأيه . وللندوة مقرر .

ويجدر الاشارة الى ان هناك ندوة تعقد يوميا وبصورة دائمة في مكتب رئيس المركز حيث يجتمع عدد من الادباء والشعراء يتباحثون في كل لون من الوان الثقافة كما ان المركز قد فتح ابوابه لكل سؤال او توجيه يطلبه المواطنون .

لقد اضحى المركز الثقافي بحق مركزا للثقافة الشعبية الواعية التي تستمد هديها من القومية العربية ورائدها الرئيس جمال عبد الناصر .

كما ان المسؤولين في المركز يبذلون اقصى جهودهم لدعم الصلة والثقة القائمة بينهم وبين المواطنين الذين يقبلون على المطالعة والتثقف اقبالا يبشرنا بكثير من الاطمئنان على مصير جيلنا وثقافتنا .

ان المركز الثقافي مكسب من مكاسب الثورة ... لذلك فانه سينمو ويزداد نفعا مع نمو الثورة .. حتى يعم خيره وفائدته جميع المواطنين فيفتح قلوبهم وعقولهم على مثال الحق والخير والجمال . البشائر تدل على ذلك .

ــ س ــ

---

* عين الدكتور محمد ضياء الدين الريس استاذا لكرسي التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم .
* انتهى الشاعر محمد حسن اسماعيل من تأليف ملحمة عنوانها « رياح المغيب » .
* بطريركية الاقباط بدأت في بناء اكبر كلية للاهوت .
* تعد بنت الشاطيء كتابا بعنوان « نهضة المرأة العربية » .
* صدر الجزء الرابع عشر من كتاب « البطالسة » للدكتور سليم حسن ، عميد الاثريين ..
* يعد الدكتور زكي نجيب محمود للطبع كتابا في النقد الادبي والفني .
* يقوم ورثة الشاعر علي الجارم بطبع ديوان جديد له عنوانه « سبحات الخيال » .
* اعد المجمع اللغوي للطبع مجموعة جديدة من المصطلحات في الكيمياء والجيولوجيا والرياضة والميكانيكا والفلسفة والجراحة .
* طبعت قصة لعبد الحميد جودت السحار تقع في ٦٠٠ صفحة .
* اشترك اديبان في كتاب اسمه « محمد في الادب المعاصر » .
* تدرس كلية آداب جامعة عين شمس مشروع انشاء دار للنشر لبيع الكتب للطلبة بأسعار زهيدة ..

نشاط الثقافي في الغرب

* جان كوكتو ، عميد المسرح الفرنسي ، واحد كبار أدبائه مشغول الآن بوضع رواية جديدة ، تدور هذه الرواية عن حياته الخاصة ، اختار لها عنوانا هو « وصية اوفيد » ، كان اوفيد اكبر شعراء اللاتينية وهو في هذه الرواية يرمز لكوكتو نفسه .

* ظهرت في امريكا ترجمة جديدة لمقدمة ابن خلدون، قام بهذه الترجمة فرانز روزنتال ، وقد رجع في ترجمته الى الاصل العربي ، نشر مع الترجمة تحليلا للمقدمة ، وفهرسا بالكتب التي صدرت عنها

* نال الشاعر الفرنسي الكبير هنري لوفيفر جائزة النقد هذا العام ، الكتاب الذي استحق هذه الجائزة هو « المجموع والباقي » ، ومن المعروف ان بعض كبار الشعراء المعاصرين يعتبرون من اكبر النقاد ، ومن هؤلاء تي ـ اس ـ اليوت .

* دعا الملك محمد الخامس ، ملك المغرب العربي ، الاديب الفرنسي فرانسوا موزياك لزيارة بلاده ، ومن المعروف ان موزياك رفع صوته مرارا مؤيدا لقضايا الشعوب العربية في شمال افريقيا .

* اصدرت اليونسكو في سلسلة مطبوعاتها التي تصدرها باسم « دراسات ووثائق تربوية » كتابا يتضمن المراجع والوسائل التربوية الصادرة عن الامم المتحدة والمنظمات الدولية .

من ضيوف دمشق

وصل الى دمشق الاديب الكبير الاستاذ عبد الرزاق البصير قادما من الاقليم الجنوبي بعد ان قضى فيه بضعة أيام التقى خلالها بادباء الاقليم الجنوبي ، وهو اليوم موضع حفاوة ادباء الاقليم الشمالي الذين يقدرون فيه موهبته الادبية ونضاله القوي ومجلة « الثقافة » التي تربطها باديبها البصير روابط المحبة ترحب بمقدمه وترجو له طيب الاقامة بين اخوانه ومقدري أدبه وعلمه .

*

* انتخب عضوا فخريا بأكاديمية اثينا : ديمتري ميتروبولوس رئيس الاوركسترا الشهير الذي يدير فرقة فيلاهارمونيك في نيويورك .

* جامعة لندن تستعد لتنظيم سلسلتين من المحاضرات في شهر تشرين الاول القادم حول الوسائل الفنية الحديثة التي تكفل الوقاية من خطر الاشعاع الذري .

* يواجه جان جاك شرايبر ، رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » الفرنسية مضايقات من الفرنسيين لانه ينتصر للحق في دفاعه عن القضية الجزائرية .

* انتخبت اكاديمية الفنون والعلوم الامريكية ١٢ عضوا جديدا من الامريكيين والاجانب وكان بين هؤلاء الكاتب الفرنسي البير كامو الحائز على جائزة نوبل .

* يباع في مكتبات طشقند والمدن الاوزبكية الاخرى الكتاب الاول من المجلد الثالث لمؤلف « القانون في الطب » الذي وضعه ابن سينا .

* ورثة فرويد سينشرون الخطابات التي تبادلها مع كارل يونج في كتاب من ٨٠٠ صفحة ، وسيلقي هذا الكتاب الضوء على اسباب الخلاف بينهما في علم النفس .

* ١٠٠ الف روبية خصصتها حكومة باكستان لانشاء دار للنشر للكتاب ، باشراف جمعية الكتاب الباكستانيين .

* صادر البوليس الفرنسي كتاب « التعفن » ، وهو الكتاب الثاني الذي يصادره البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلادون » ، ولكن خمسة آلاف نسخة من هذا الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس بمصادرته وهو مجموعة وثائق واعترافات قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا من التعذيب في احد سجون فرنسا .

* الشاعرة مسز جوان واين ، انجزت كتابها الذي طبع في باريس ، وقد طبعت من هذا الكتاب ١١٠ نسخ فقط ، ستوزع على متاحف لوس انجلوس وغيرها من متاحف أمريكا ، وفي الكتاب صور لفنانين معاصرين مشهورين في باريس وامريكا والكتاب لا يباع في الاسواق

ومن يرغب في الاطلاع عليه يذهب الى المتاحف الامريكية .

❊ بلغ مجموع الكتب التي اصدرتها امريكا عام ١٩٥٨ الماضي ١٣٤٦٢ كتابا منها ١١٠١٢ كتابا تنشر لاول مرة .

❊ نشرت جامعة بنسلفانيا كتابا ضخما عنوانه « دراسات في المسرح العربي » تأليف جاكوب لاندو ، مع مقدمة للمستشرق الانكليزي السر جيب ، ويبحث الكتاب في ظهور المسرح المصري والمسرح في سوريا ولبنان ، والدور الذي لعبه المرحوم جورج ابيض في المسرح الكلاسيكي والمسرح القومي .

❊ نشرت مجلة « ليتراتورنايا غازيتا » في عددها الصادر بتاريخ ٩ حزيران الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ ، وهذا الامر وحده ذو مغزى بعد مؤتمر الكتاب السوفييت الذي عقد منذ اكثر من شهر في موسكو ، ذلك ان هذه المجلة كفت منذ ثلاثة اعوام عن التحدث عن اهرنبورغ ، الا لتنتقد انحرافاته عن الادب السوفياتي . ومن المعلوم ان اهرنبورغ يبدي مزيدا من العداء للكونفرفيزم ، فبينما يحرض خروشوف في خطابه « المتساهل » بمؤتمر الكتاب السوفيات على ضرورة التمييز بين الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية نرى اهرنبورغ يقول : أتكون أنا كارنينا بطلة ايجابية .. لقد كان تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية ..

❊ تقيم اليونسكو حفلة دراسية في مدريد لتعليم اللغة العربية ، وسيقوم اساتذة من الجمهورية العربية المتحدة بالتدريس .

❊ حل البروفسور جان دولاي عضوا في الاكاديمية الفرنسية في مقعد جورج لوكونت .

❊ توفي في باريس الناقد الكبير روبير كمب عضو الاكاديمية الفرنسية وناقد جريدة « لوموند » ومن المعروف عنه انه لم يدخل مدرسة في حياته بل تعلم في البيت ، وتعلم الفلسفة على يد احد المحررين المسرحيين في جريدة « الفيغارو » ، وقد صدرت له اخيرا مجموعة من مقالاته التي كان يتناول فيها نقد المسرحيات في الصحف وتشمل مختارات لسنوات العشرين الاخيرة وعنوانها « الحياة في المسرح » .

❊ الكاتبة الفرنسية الشهيرة جورج صاند ، سيقام في نوهان بفرنسا معرض لاحياء ذكراها ، يستمر حتى اول ايلول القادم ، تشرف عليه اورور صاند حفيدة الكاتبة ، وقد وهبت قصر نوهان الذي سكنته جورج صاند وورثته هي ، الى الحكومة الفرنسية التي وضعته في عداد الابنية التاريخية ويضم المعرض مخطوطات لجميع مؤلفات جورج صاند .

❊ ٢٤ مليون جنيه استرليني بلغ مجموع قيمة الكتب التي صدرت عن مؤسسات النشر البريطانية ويقدر ان الاتحاد السوفياتي انتج في العام الماضي حوالي عشرين مليون كتاب ، كان قسم كبير منها باللغة الانكليزية .

❊ توفي عن ٦٦ عاما والتر هوسر الخبير بآثار الشرق الادنى ، وقد كان من كبار اعضاء متحف متروبوليتان .

❊ يعرض الآن في مكتبات العالم كتاب « مذكرات من الحرب العالمية الثانية » وهي مختصر للمجلدات الستة التي كتبها تشرشل بعنوان : « من الحرب العالمية الثانية » والمختصر الجديد تتصدره مقدمة لتشرشل ايضا عن الاحداث التي اصابت العالم في سنوات ما بعد الحرب .

❊ وظهر في امريكا كتاب جديد يضم ٢٨ مقالة في « فن الشعر » لبول فاليرى ، ومقدمة هذا الكتاب للشاعر الناقد الكبير تي . اس . اليوت .

❊ اجتمع في فرانكفورت المؤتمر الدولي للشعراء ، ضم من الكتلتين الغربية والشرقية .. بلغ عدد الشعراء المشتركين ٥٠٠ شاعر .

❊ أهم الروايات التي كانت رائجة في الاسواق العالمية هذا الشهر : رواية اكزووس تأليف ليون اوريس ، ودكتور جيفاغو لباسترناك ، اما قصة د.هـ. لورنس المعروفة باسم عشيق الليدي تشاترلي فهي في قمة التوزيع منذ ان طرحت في السوق بطبعات شعبية رخيصة .

واذا فكرنا قليلا في النقطة الاخيرة نجد انه لايوجد احد يود ان يعامل معاملة سيئة تتضمن شيئا من الظلم . ولكن أليس الادعاء بأن يكون هناك عدالة دائما من اجلي فيه شيء من الطفولة وعدم تفهم الواقع ؟.

ان للطفل الفرص العديدة بأن يشعر بأنه « ناقص » نسبيا وانه في المستقبل يحاول دائما ان يتجاهل أي تجربة تعيد اليه ذكريات مؤلمة . والكن يجب ان يفهم تماما ففدا من خلال هذه «الآلام النامية» يستطيع المرء ان يكون شابا ـ لا طفلا ـ وان يكون سائرا في الطريق الطبيعي . انه يتعلم بعد هذا الثقة ، بعد ان يكون قد مر بفحوص وتجارب عديدة .. سيشعر بأنه ليس اقل شأنا من غيره وبأنه ليس لديه مجال لكي يدعي بأنه متفوق عليهم ...

هذا المرء لديه تجربة النمو دون ان يضيع بساطة الطفولة .

كانت الفتاة س شديدة الصلة بأختها الاكبر منها والجميلة المتزوجة لقد بدأت تدرس الموسيقى الا انها كانت مضطربة الاعصاب ، لقد بدأت تتطلع الى الزواج وخصوصا بعد زواج اختها وذلك لكي ترضي نفسها .

وبدأ سلوكها يتجه نحو الشذوذ نسبيا ... بدأت مشاكستها للمجتمع ومقاتلتها لرفيقاتها واصدقائها ومن المعروف ان هذا ليس شجاعة ، ان يقاتل المرء دائما من هو اضعف منه .

لقد كانت حسب تعبير ادلر ، تريد ان تلقي بالناس فى الجحيم وبهذا تستطيع ان تتفوق على اختها .

تركت البنت البيانو والخياطة .. انها لا تزال تشعر بنقص من ناحية اختها ولم تتحسن حالتها الا عندما وجهها المحلل النفسي وافهمها ان سلوكها هذا سجعل من اصدقائها وخصوصا الرجال ان لا يحبونها من اجل الزواج ... ومن الذي يتزوج امرأة مشاكسة ؟؟

قد يبدو من كل هذا ان الشعور بالنقص يؤدي الى حالة مرضية ، ان هذا صحيح ولكن الى حد ما وذلك لان هناك حالات تؤدي بالانسان الى الطموح الحقيقي « ان ضعف هذا الرجل مثلا هو الذي هيأ له سبيل الكفاح من أجل التفوق . و « ان النقص الفردي هو سبب اختراع اللغة » .

وهناك امثلة عديدة يجدها المرء في تراجم العظماء منها هيلين كيلر والشاعر جوستاف فريباج الذي كان ذا عينين حقيقيتين الا ان استعماله لخياله تركه يقول : بأنه عوض واجاد . وطه حسين وغيرهم .

هذا اذا ما حولت عقدة النقص الى جهاد مثمر ، اما « الذين لديهم نقص وغيرهم من دائمي الحركة فهؤلاء قوم يستدل على انهم مرضى .. ان الذي يعلم انه قادر على قهر الصعاب لا يكون ملولا » .

من هذين المثالين اللذين اوردهما الدكتور مارك ورث . نجد ان قول ألفرد ادلر ينطبق تماما على حالات كهذه .. يقول ادلر « لكل عرض مرضي ماض ومستقبل فالمستقبل مرتبط بالهدف اما الماضي فيمثل حالة النقص »

ان شعور الاشخاص بالتفوق مرتبط تمام الارتباط بشعورهم بالنقص الذي غرس في نفسية المرء في طفولته أي في ماضيه البعيد حيث كان عديم السيطرة على جميع الاشياء التي توحي اليه بطريقة غير مباشرة او حتى مباشرة .

لذلك نجد ان هؤلاء يعيشون ابدا « في سعي دائم لا ينقطع للتفوق »

وان هؤلاء ـ الذين ألفوا السرقة والاجرام ـ ان هؤلاء المضطربين والمرضى يملكون عقدة تفوق .

ومن الامثلة التي تلاحظ لدى الاطفال على هذا ... النوع المشاكس والوقح منهم وخصوصا عندما يحاولون الاعتداء فجأة على غيرهم ...

« ان النقص الذي لديهم يدفعهم الى الشعور بالتفوق .. وانها وسيلة سهلة للتعبير » .

ولا شك بأن علاج مثل هذه الحالة لا يكون باللوم او التأنيب وانما بالروية والتوجيه الحسن ...

ب ـ العقدة كما يراها ادلر

بحث هذا الموضوع في عدد من مؤلفاته وان الفصل الذي اعده لها في كتابه « الطبيعة الانسانية » ليعد بالحقيقة من ادق ما كتب عن هذا الموضوع لذلك نجد ان ترجمته هي اجدى بكثير من البحث في مؤلفات عدة علماء خصوصا وان الوقت لا يسمح بالتوسع ، كما ان عدم الاختصاص يؤدي بالمرء حتما الى مواضيع ربما لا تفي بالغرض ، من حيث اعطاء فكرة علمية عن هذا الموضوع ...

لذلك نترجم فيما يلي النص الذي كتبه ادلر في كتابه المنوه عنه اعلاه بدون أي تصرف في الترجمة ...

١ ــ الشعور بالنقص والجهاد من اجل تحقيق الذات .

اننا على استعداد الآن بالتأكيد ان ندرك تماما بأن الاطفال الذين عوملوا خلال طفولتهم كابن للزوج او الزوجة : أي ربيب من احد الطرفين يختلف نظراته بالطبيعة تمام الاختلاف نحو الحياة ونحو البيئة التي يعيش بها عن هؤلاء الذين وهبتهم الطبيعة طفولة سعيدة ...

يستطيع المرء ان يوضح وكقانون اساسي بأن الاطفال الذين أتوا الى هذا العالم ومعهم نقص جسدي مثلا يعانون كفاحا مريرا في عمر مبكر من اجل اثبات وجودهم الذي ينتج عنه غالبا خنق شعورهم الاجتماعي .

فانهم عوضا عن ان يحاولوا ايجاد السرور في توافقهم مع اصدقائهم نجدهم مشغولين دائما مع انفسهم ومع الانطباعات التي يقومون بها تجاه الآخرين .

وما يقوم مقاما حسنا من اجل النقص العضوي هو شرعي او قانوني من اجل اي كبت اجتماعي او اقتصادي الذي يمكن ان يبين او يوضح نفسه من خلال كبت اضافي له القدرة ان يجد منفذا عدائيا تجاه العالم . ان هذا الاتجاه يصبح محددا في الطفولة الاولى . ان اطفالاً كهؤلاء اذ يستحوذ عليهم هذا الشعور مبكرا تماما في السنة الثانية تقريبا من حياتهم . فانهم لم يجهزوا للكفاح كغيرهم من اصدقائهم في اللعب . انهم يشعرون بأن ليس لديهم الجراة بأن يثقوا بأنفسهم الى الالعاب العامة كنتيجة الحرمان سابق تلقوا فيه الشعور بأنهم مهملون ، ان هذا هذا يبدو في تعبيرهم عن انفسهم . أي في سلوكهم بأمانيهم القلقة المضطربة . وعلى الانسان ان يتذكر دائما بأن كل طفل يشغل وضعا شاذا في الحياة . كأن ــ اذا لم يكن بالتأكيد ــ قد اكتسب هذا الشعور الاجتماعي من عائلته وانه لن تكون له القدرة الكافية لان يعتمد على نفسه الاعتماد الكلي .. ومن الممكن استنتاج هذا هذا بأن بأن بداية كل حياة هي مفعمة او مشحونة بالنقص لسبب ، عندما يشاهد المرء الضعف الموجود عند كل طفل. قريبا او بعيدا ، يشعر كل طفل بعدم امكانيته بالسير فى الحياة بمفرده ، هذا الشعور بالنقص هو القوة الدافعة والبداية الاولى لكل طفل بدأ يشعر بضرورة العمل ، انها تحدد كيف يتعلم كل طفل السكينة والثقة بالحياة ، انها تحدد المعنى الكلي لوجوده وتهيء الطريق الذي يمكن به الوصول الى هذا الهدف .

ان الاسس العلمية تكون قائمة في هذه الحالات الخاصة التي لها العلاقة الكلية الكاملة مع امكانياته الجسدية .

وممكن تقسيم هذه الاسس الى عنصرين : وان هذه العناصر هو المبالغة الشدة ، عدم الشدة الشعور بالنقص ، والآخر الذي لا يطلب فقط الطمأنينة والسلام والحياة الاجتماعية الطبيعية وانما الكفاح ليعبر عن القوة والتفوق على بيئته ، وهدفه السيطرة على اصدقائه . ان الاطفال الذين لهم هذا الهدف معروفون بسهولة ، انهم يصبحون « طلاب مشكلة » لانهم يعالجون كل تجربة كانهزام ، ولانهم يعتبرون انفسهم دائما مهملين ، منبوذين من الطبيعة ومن البشر . ويحتاج المرء ان يتأمل أي ضرورة الزامية وأي شذوذ وعدم ملاءمة في تطور الطفل . ان كل طفل له فرصة تقدم ، كل طفل يجد نفسه متقلقلا في وقت قريب او بعيد .

وبما ان على كل طفل ان ينمو في بيئة من المراهقين حوله فمن المتوقع ان يتأمل نفسه كشخص ضعيف ، صغير ليست له القدرة على الحياة لوحده . لا يثق بنفسه على ان يعمل هذه الواجبات الصغيرة التي يعتقد المرء انه باستطاعته ان يقوم بها . بدون اخطار وغموض . ان اكثر تربيتنا تبدأ من هذه النقطة : ان نطلب من الطفل اكثر مما يتوقع منه ، انه يستطيع ان يقوم به . ويقذف في وجهه فكرة عدم فائدته ومقدرته . ان بعض الاطفال يخضعون لهذا حتى شعوريا وغيرهم ينظر اليهم وكأنهم لعب كلعب محبوبة . وكذلك نجدهم يعاملون وكأنهم مال مادي يجب ان يعتنى بهم ويلاحظوا كثيرا ، بينما يعتبر البعض الآخر بل يجعل منهم يعتقدون بأنهم مشحونون بعدم النفع ...

ان اجتماع كل هذه الاتجاهات لدى الآباء والبيئة المراهقة للطفل تدفع الطفل الى ان يعتقد ان هناك شيئين فقط في مقدرته ، سرور وعدم سرور الاشخاص الذين يكبرونه سنا . ان الشعور بالنقص لدى الطفل الذي يسببه الآباء يمكن ان يتجلى في بعض خصائص حضارتنا . ان العادة بعدم الاهتمام بالاطفال جديا تجلي هذه الصفة ان الطفل يعتقد بانه لا احد ولا شيء دون حقوق انه يجب أن يرى لا ان يسمع ، انه يجب ان يكون كريما هادئا ونجد هذا من صفات اطفال عديدين ينمون ويخافون ان يضحك عليهم . ان الضحك على الاطفال يعد جريمة . ان تأثير هذه الضحكات تبقى آثارها ونتائجها في روح الطفل ، وتطور الى عادات واعمال في سني مراهقته ، ومن الممكن بسهولة ان نلاحظ الشاب الذي كان يضحك عليه عندما كان طفلا . لايستطيع ان يتملص من الخوف من ان يكون مضحكا ايضا ، وملاحظة اخرى في عدم الاعتناء

بالاطفال جديا هي عادة اخبارهم كذبات واضحة ملموسة، التي تعطي نتيجة حتمية للطفل بأنه لايشك فقط في بيئته المحيطة به ولكنه يسأل عن جدية وجدارة الحياة .

ان بعض الاطفال يلاحظ عليهم انهم يضحكون كثيرا في المدرسة وبدون سبب الا انهم عندما سئلوا عن الاسباب التي جعلتهم يضحكون اجابوا بأنهم كانوا يظنون ان المدرسة عبارة عن نكتة من النكات ، واهلهم في البيت لاتستحق المدرسة ان تؤخذ جديا » .

٢ ـ التعويض عن الشعور بالنقص .

ـ الكفاح من اجل اثبات الذات ـ

انه الشعور بالنقص وعدم الملائمة وعدم الطمأنينة الذي يحدد هدف وجود الانسان ان الاتجاه للاندفاع نحو النور ، ان ترغم انتباه الآباء ، يجعل من نفسه ملموسا في الايام الاولى من الحياة . انه هنا يوجد الدلائل الاولى لاستيقاظ الرغبات لاثبات الذات تحت دفع الشعور بالنقص لكي ينال هدفا يبدو لفرد منه انه متفوق على بيئته ...

ان درجة ونوعية الشعور الاجتماعي تساعد في تحديد هدف السيطرة ، اننا لانستطيع ان نحكم على أي فرد سواء اكان طفلا او مراهقا دون ان ترسم مقارنة بين هدفه للسيطرة وشعوره الاجتماعي . ان هدفه يتركب اما من بلوغه لامكانية شعوره بالتفوق او ان يتطور ويفكر بأن الحياة تستحق ان تعاش ، ان هذا الهدف الذي يعطينا قيمة لمشاعرنا . الذي يربط ويتعاون مع عواطفنا ، الذي يحدد خيالنا ويوجه قواتنا المبدعة يحدد ما يجب ان نتذكر وما يجب ان ننسى . وان نستطيع ان نقدر كم هي قيمة مشاعرنا وعواطفنا وحواسنا وخيالنا ، برغم ان هؤلاء ليسوا ذوي قيمة مطلقة . هذه العوامل لنشاطنا النفسي هي متأثرة بجهادنا الكامل نحو هدف واضح ، ان ادراكاتنا محكومة به ومختارة مع لمحة سرية للهدف النهائي الذي تحاول الشخصية ان تثبته .

اننا نعود انفسنا ان نعيش بالنسبة لنقطة ثابتة نخلقها نحن بخيالنا مع انه لا وجود لها وذلك شبيه بالخيال المستعمل في العلوم كتقسيم الارض الى خطوط طول وعرض النافعة جدا وغير الموجودة بالفعل . وفي كل هذه الفرضيات النفسية يجب ان نعالج ونتعامل مع الموضوع التالي :

نفرض فكرة ثابتة رغم ان قوى الملاحظة القريبة ترغمنا ان نقبل بانها غير موجودة ، ان الهدف من هذه الفرضية هي ان نعود انفسنا في هذا الوجود بحيث نستطيع الوصول الى قيم نسبية .

ان تجاربنا قد اوضحت لنا بأن افتراض وجود هذا « النضال » من اجل هدف معين ليس اقصوصة مناسبة لقد اوضح نفسه بأنه يتفق مع الواقع في مبادئه الاساسية . في حياة الشعور او في اللاشعور . ان الكفاح من اجل هدف غاية الحياة النفسية ليس بغرض فلسفي فقط ولكنه في الواقع واقعة يومية .

عندما نسأل انفسنا كيف بأمكاننا ان نحد من تطور الكفاح من اجل القوة . هذا الشر الموجود في حضارتنا . نجد ان ذلك من الصعوبة بمكان لان هذا يبدأ منذ السنين الاولى للطفولة وان بعض التعديل في هذا الاتجاه الاناني الذاتي المحب للسيطرة يمكن ان يجري تعديله في سني المراهقة مثلا ، الا ان الحياة مع الطفل في وقت طفولته كفاحه من اجل قوته الشخصية يصبح مهملا ..

ان الصعوبة الثانية التي تعترض هي ان الاطفال لا يعبرون عن كفاحهم من اجل القوة بوضوح بل يختبؤون تحت ستار يستجدون به العطف والشفقة . انهم يهربون من واقعهم وتتحول شجاعتهم مع الزمن الى جبن والطاعة الى خيانة واللطف الى محاولات فاشلة للسيطرة على العالم وأي اجراء في عملهم هدفه اخضاع البيئة .

ان التربية تعطي الطفل ما يكفيه من ذخيرة لهذه الحياة سواء من علم او تربية عن طريق لاشعوره وتعلمه ان يكون متلائما مع بيئته ان كل هذا يعطي الطفل ثوان ليتخلص من شعوره بالنقص . وان رد فعل الطفل لهذا الشعور خلال فترة التربية ليس مدى شعوره بالنقص بقدر الطريقة التي يعالج فيها هذا النقص .

ان المرء لا يستطيع ان يتوقع من الطفل ان ينصح نفسه في حالة كهذه حتى ان المرء لا يستطيع ان يتوقع هذا من المراهقين انفسهم ، ومن هنا ينشأ الخطر ان طفلا ما يمكن ان تتعقد لديه الامور بحيث يمكن استحالة عدم وقوعه في اخطار هذه العقدة وطفل آخر يمكن ان تكون لديه القدرة على معالجة حالته هذه .

ويتطور الامر بالطفل حتى يبلغ حدا « ثابتا » لتقديره لنفسه القرار الذي يخلقه الطفل والذي يعقده نحو تحديد هدف سلبي او ايجابي تجاه الحياة ..

ان ميكانيكية الكفاح من اجل التعويض ذات علاقة

مباشرة مع التكوين العنصري ، وان النفس تحت ضغط الشعور بالنقص تسعى جاهدة لتسيطر على هذه العقدة.. عقدة النقص ..

وان الخطر كله يكمن عندما يحاول الطفل بعد ان يشعر بالنقص ليس في ان يحاول تصليح توازنه الناقص بل عندما يتطلب ان يكون اكثر من هذا . ان يحاول تحقيق هذا بمحاولة السيطرة على بيئته ومن هنا تنشأ الحالة المرضية . ان هؤلاء يحاولون جاهدين ان يحققوا اهدافهم دون صبر ، انهم في عداء دائم مع العالم والعالم في عداء دائم معهم .

يجب ان لايبدو هذا بالمعنى الشرير مباشرة . هناك اطفال يسلكون سلوكا يمكن ان لايعد شاذا . الا انه عندما نحصي نتائج اعمالهم نجد ان المجتمع لم ينتفع منها شيئا، لان طموحهم يضعهم في طريق الآخرين ، كأشخاص يضايقون المجتمع اكثر مما ينتفع منهم هذا المجتمع .

ان من خصائص هؤلاء الغرور والخيلاء والرغبة في غزو كل واحد وبأي شيء .. وان الناحية الاخيرة تحقق بأسلوب فردي محض مع هؤلاء الذي صدف ووقعوا في حبائل هذا المريض الذي يحاول دوما ان يسيطر ويضغط عليهم بشتى الوسائل الممكنة .

وان في هذه الحالة الاخيرة الشيء المهم هو المسافة التي تفرقه عن اعضاء بيئته ، ان اتجاهه ليس فقط غير مريح لبيئته ولكنه ايضا غير مريح للشخص الذي يمارسه . لانه يجذبه دوما الى الناحية المظلمة من الحياة ويمنعه من ان يمازج عمله أي شيء من بهجة الحياة .

ان الشعور المبالغ فيه والمتجه نحو القوة والسيطرة على البيئة سريعا ما يرغم اصحابه على مقاومة الواجبات اليومية الحياة .

هذا وعندما تكون لدينا المعرفة الحقيقية عن الناحية الانسانية المبنية على تقدير الصعوبات يجب علينا ان لانحتقر ذوي العاهات .. لم يكن لهم ذنب بها .. وان علينا ان نشعر بأننا مسؤولون تماما في تنمية العداء للمجتمع الذي يوجد عند هذا الانسان ـ المسكين ـ عمليا .

يجب ان ندع هذا الانسان يشعر بأنه كغيره وبأن لديه جميع الامكانيات التي تساعده على الحياة في بيئته ان علينا ان نشعر بشعور الآخرين وان نقدر ظروفهم ونكون عونا لاخينا الانسان » .

دمشق ـ عماد تكريتي